روايةُ الأجيال بين الثلاثية لمحفوظ وعائلة باسكوال دوارتي لثيلا (دراسة مقارنة)

م.د احمد راهي سعدون الزيداوي

جامعة كربلاء - كلية العلوم الاسلامية

The Novel of Generations between the Mahfouz Trilogy and the Family of Thila Pascual Duarte (a comparative study)

Lecturer Dr. Ahmed Rahi Saadoun Al-Zaydawi

Karbala University/College of Islamic Sciences/ Department of Quranic Studies

الملخص

رواية الأجيال من أنواع الروايات المميزّة فهي تصف أحوال عدة أجيال من أسرة واحدة على مدى سنوات واصفة الأحداث والتقلبات السياسية والتغير في الأوضاع الاقتصادية والثقافية و الاجتماعية فكأنها سرد تاريخي في شكل روائي شيّق لأحوال بلد ما وأهله وتوضح تأثير تلك الأحداث على الناس وما نجم عنها من أثار.

تصف الثلاثية حياة أسرة من الطبقة الوسطى قبل ثورة 1919 وبعدها حتى الخمسينيات من القرن الماضي واصفة حياة الناس وقتها وعاداتهم وتقاليدهم والعلاقات داخل الأسرة الواحدة وعلاقات الأسر بعضها ببعض والتأثير السلبي أو الإيجابي للام والأب ومدى حرص الأسر على التعليم من عدمه وظهور تيارات سياسية جديدة واهتمامات الأجيال الشابة بها من عدمه.

أمّا في رواية عائلة باسكوال دوارتي فهي أنها عبارة عن مذكرات لقاتل محكوم بالإعدام معطية صورة عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية بالغة السوء التي عانت منها إسبانيا بعد الحرب الأهلية فهي بمثابة اعتراف أو تطهير للنفس من الذنب أو إراحة لضميره قبل الموت أم مبرر للأفعال التي ارتكبها هذه المذكرات تثير تساؤلا حول هل الأجرام والميل للعنف طبيعة بشرية أم مكتسبة من البيئة أم هي نتيجة للظروف والضغوط المحيطة بالشخص؟ كذلك توضّح التأثير السلبي للأب والأم في كل مراحل النشأة التي تتكوّن فيها الشخصية وكون الوالدين قدوة سيئة فهل هو فقط المجرم أم هناك من دفعه لذلك؟

Abstract:

The generational novel is one of the distinctive types of novels. It describes the conditions of several generations of one family over the years, reporting the events, political fluctuations, and the change in economic, cultural and social conditions.

The trilogy narrates the life of a middle-class family before and after the 1919 revolution until the fifties of the last century, showing the lives of people at that time, their customs and traditions, the relationships within the same family, the relationships of families with each other, the negative or positive impact of mother and father, the extent to which families are keen on education, the emergence of new political currents, and the concerns of the younger generations.

As for the novel of the Pascual Duarte family, we find that it is a memoir of a murderer sentenced to death, giving a picture of the dire social and economic conditions that Spain suffered after the civil war. It serves as a confession or purification of the soul from guilt, or a relief to his conscience before death, or a justification for the actions he committed. These notes raise the question: Are crimes and inclination to violence a human nature, acquired from the environment, or a result of the circumstances and pressures surrounding the person? It also shows the negative influence of the father and the mother in all stages of the upbringing in which the personality is formed and the parents being bad role models. It is wondered whether he is the only criminal or is there someone who pushed him to do so?

المقدمةُ

روايةُ الأجيال نوع مميّز من الأدب إذ أنها تجمع في أحداثها تاريخ البلد الذي تدور فيه الأحداث فضلا عن وصف البشر، العادات والتقاليد التي درج عليها الناس في تلك الحقبة التي تدور فيها الرواية، والتغيّرات التي تطرأ عليها ببطء، فما كان ممنوعا في وقت ما أصبح مسموحا في وقت آخر، كذلك تدخل إلى عالم وصف البشر وتقلبّاتهم و تصف الحركات السياسية وتغيرات الحكم في البلد الذي تدور فيه الأحداث وما يتبعها من تغيرات في حياة البشر من غنى أو فقر، كذلك وصف الطبقة الوسطى والتي تمثّل أغلبية لا يستهان بها وتقدّم نموذجًا لما عليه الحياة في البلد الذى تدور فيه الأحداث.

تعدّ الثلاثية لنجيب محفوظ نموذجا مثاليا لرواية الأجيال فهي تصف مرحله زاخرة بالأحداث على الصعيد السياسي والاجتماعي و الاقتصادي وقد كتب محفوظ العديد من روايات الأجيال نذكر منها (الحرافيش)، (حديث الصباح و المساء)، (قشتمر). أمّا رواية عائلة باسكوال دوارتي لكاميلو خوسيه ثيلا فتعد كمرآة عاكسة لأحوال ما بعد الحرب الأهلية الإسبانية واصفة الأوضاع الصادمة من جهل وفقر وما يترتّب عليها من جرائم في قرية نائية وقد كتب ثيلا العديد من الروايات مثل (سحب عابرة)، (رحلة الى القرية).

إن أصدق أنواع السرد التاريخي[1] * هو ما يأتي على لسان البشر وحكاياتهم وما يتعرّضون له، ومدى تأثّرهم سلبًا وإيجابًا بالتحولات التي تحدث من حولهم، فالتغيير هو سمة الحياة لا شيء يبقى على حاله، فنرى صعود تيارات وأفراد وهبوط أخرى.

فالحكاية عند محفوظ غنية بالتفاصيل العامة والخاصة التي تقدّم وصفا دقيقًا للشخصيات؛ فتظهر واضحة جليّة ليس في مظهرها الخارجي، وما تتميّز به من سمات شخصية، ولكن وصفًا دقيقًا للشخصية نفسها وما بها من مميزات وعيوب كذلك وصف الأماكن وما تشمله من منازل ووصف هذه المنازل وأثاثها وخصائصها وطبيعة الحياة منها ووصف الشوارع وكيفية التعامل بين البشر والتفاوت الموجود بين الشخصيات حتى بين أفراد الطبقة الواحدة وارتباطه بالأحداث سواء كانت سياسية كتقلّبات الحكم أو اجتماعية واقتصادية أو كالأزمات أثناء الحروب وما بعدها وتبعاتها على حياة البشر؛ لذلك نرى أن ثلاثية محفوظ شديدة الثراء بالأحداث والشخصيات على مدار عقود فهي تقدّم وصفا جيدا نطلّ من خلاله على أحداث لم نعايشها وأشياء اندثر معظمها فكأنها تعود للحياة مرة أخرى عند قراءة وتحليل الرواية، فنجد أننا أمام وصف حالة كاملة لبلد تمّ التعبير عنها في رواية تدور أحداثها على مدار عقود لعدة أجيال متتابعة فتعطينا فكرة واقعية عن هذه الفترة.

عائلة باسكوال دوارتي أول رواية كتبها ثيلا وتعدّ من أفضل مائة رواية كتبت بالإسبانية، وتنتمي إلى النوع الأدبي (التهويل) الذي يرتبط التقليد الواقعي الإسباني الذي ظهر في منتصف القرن التاسع عشر الذي وعكس بدوره قيم الطبقة الوسطى في مرآة الأدب الواقعي، وتميّز الرواية الواقعية في هذه الفترة بالبساطة، فيكتب الروائي عن موضوعات لها صلة بالقارئ وحياته اليومية وكذلك قد يكتب بلغة شعبية قريبة من القارئ.

ويصف سرور[2] البناء الفني لرواية (بين القصرين) بأنه غاية في البساطة وغاية في التعقيد أيضا ولهذا تستطيع (بين القصرين) أن تهزّ القارئ لأنها عالم رحب شامل عميق ضمن مسار روائي مقسّم الى مجموعة من اللوحات مجموعها ٧١ لوحة تمثّل كل منها لحظة زمنية نابضة بالحياة.

ويضيف أن محفوظ بارع في الغوص إلى أعماق الشخصية والاعجاز في التجسيد الداخلي لها في حساسية تجعله في مستوى الفرنسي بلزاك والروسي

نيكولاي جوجول والبريطاني تشارلز ديكنز.

ومن مهارات محفوظ في نظره أنه يركّز في السرد الروائي - بتصوير موضوعي- على النمط الانساني لا على العقدة كما يعتمد على التحليل النفسي والنقد الاجتماعي بلا صراخ ولا ميلودراما ويصبح التاريخ في سطور الرواية حيا مشهودا في الأحداث والطرز السائدة في العمارة والأساس المنزلي والملابس والموسيقى والغناء والتقاليد والعلاقات الاجتماعية والسياق الاقتصادي[٣]، أمّا ثيلا فقد كان فكانت كتاباته تتميّز بحرية الفكر ممّا جعله يهجر السائد سواء في الأسلوب الأدبي والاتجاه السياسي ويعدّ ثيلا الشخصية الأبرز في التجديد الأدبي الأشباني خلال فتره ما بعد الحرب العالمية الثانية.

تأتي رواية باسكوال دوارتي لثيلا لتعطينا فكرة عن مدى معاناة الفقراء في الريف الإسباني وارتباط الفقر بالجهل والجريمة؛ حيث لا وازع على الإطلاق سواء أخلاقي أو ديني في مثل هذا الفقر المدقع والظروف السيئة من الجهل والمرض لذلك، فهي رواية بها من التهويل الأدبي الذي يجعل أحداثها صادمة وهذا يقودنا إلى معني التهويل الذي هو تضخيم الأمور ممّا يبعث على الخوف والتهديد وهذا التهويل يجعل أحداثها صادمة ولكن قد تكون ظروف الحياة الحقيقية أشدّ قسوة من الخيال فهذه الرواية قد أسّست لما بعد الواقعية في الأدب الإسباني.

تقدّم الروايتان صورتين لعائلتين بكل مفرداتها وكي تصل أحيان إلى حدّ الصدمة لكنها تعبّر عن عصر وأحداث جرت في الماضي فقد تسأم الأجيال الجديدة من قراءة كتب التاريخ لكنها تعرفه من خلال قراءة رواية بها تفاصيل كثيرة عن تلك الحقبة التي تدور بها الأحداث.

وأخيرا فالروايتان لكاتبين مبدعين فاز كلاهما بجائزة نوبل للآداب.

• سبب اختيار الموضوع:

قصد الباحث لاختيار الموضوع لعدة أسباب، منها:

١- توضيح أثر رواية الأجيال في السرد التاريخي.

٢- دراسة تأثير الظروف السياسية و الاقتصادية السيئة على حياة الأفراد في مجتمع ما سلبا و إيجابا.

٣- تقديم صورة عن حياة الطبقة الوسطى في مصر منذ أوائل القرن العشرين و تقديم فكرة عن حياة القرويين في إسبانيا بعد الحرب الاهلية وبيان أوجه الشبه و الاختلاف بين الأحداث و الشخصيات في الروايتين.

منهج البحث:

يتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك باختيار بعض الموضوعات الدراسية محددة المعالم و الهوية ومن ثم اختيار العنوان المناسب ثم الشروع في وضع المقدمة المختصرة، وكذلك يعمد – من خلال ذلك المنهج- إلى بعض المناهج العلمية المناسبة يستطيع من خلالها ان يجد الطريقة المثالية لتفصيل محاور البحث وهنا يظهر المنهج الوصفي التحليلي بوصفه منهجا مهمّا يساعد على توصيف المشاكل العلمية بدقة وصولا لاستنتاجات إيجابية، وهو مناسب للبحوث التي تتضمّن توجّهات و سمات وخصائص ويتمثّل ذلك في الدراسات الاجتماعية بوجه عام التي لا تعتمد على الأرقام كشواهد في استنتاج الخلاصة.

تساؤلات البحث:

أثار الباحثَ بعض التساؤلات، فنهض بهذا البحث للإجابة عنها، ومنها:

١- هل استخدام الايذاء البدني أو اللفظي أو التشدد الزائد عن الحدّ في التربية يأتي بثماره أم لا؟

٢- هل الفقر فقط سبب كل الانحرافات ام ان هناك أسباب أخرى؟

٣- هل هناك شخص منحرف بالفطرة أم هو تأثير البيئة و الظروف الصعبة والقدوة السيئة؟

الدراسات السابقة على سبيل المثال لا الحصر:

- كتاب رواية الأجيال في السرد العربي الحديث تأليف الدكتور زهير عبيدات، كتاب العتبات النصية في رواية الأجيال العربية تأليف الدكتورة سهام السامرائي، كتاب الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب تأليف محمد أحمد السيد، رواية الأجيال تخلع عباءة نجيب محفوظ – مقال حسن حافظ – بوابة اخبار اليوم، السيرة الذاتية لنجيب محفوظ – ويكيبيديا، السيرة الذاتية لكاميلو خوسيه ثيلا – ويكبيديا.

الكلمات المفتاحية:(الأجيال – رواية – محفوظ – ثيلا)

التمهيد:

أولًا: مفهوم الرواية.

ثانيًا: معني رواية الأجيال وبعض الأمثلة لها العربية والأجنبية.

ثالثًا: البيئة التي دارت بها الأحداث وأثرها.

المبحث الأول: البيئة التي تدور فيها الاحداث وتأثيرها ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأوضاع الاقتصادية وتأثيرها على الأحداث في الروايتين.

المطلب الثاني: العلاقات الاجتماعية و أثرها في الأحداث.

المطلب الثالث: تأثير الظروف السياسية على الأحداث.

المبحث الثاني: دور المرأة وأثره في الأحداث:

المطلب الأول: تأثير الأم سلبًا وإيجابًا.

المطلب الثاني: الأخت ودورها في الأحداث.

المطلب الثالث: الزوجة وتأثيرها في الأحداث.

المبحث الثالث: تأثير دور الرجل في الأحداث:

المطلب الأول: علاقة الأب بالأبناء وتأثّرهم به.

المطلب الثاني: الأخ وعلاقته بالآخرين.

المطلب الثالث: الزوج وتأثيره على الأحداث.

الخاتمة: نتائج الدراسة النقدية.

مفهوم الرواية[٤]:

١- الرواية- انطباع شخصي مباشر عن الحياة أو هي قصة خيالية نثرية طويلة[٥]

٢- مفهوم آخر[٦] في معجم روبار (هي نتاج تخيل يكون نثراً ذا طول كاف يصوّر شخصيات معينة تصويراً حركيا ويقدّمها على أنها واقعية ويعرفنا بنفسياتها ومصائرها ومغامراتها).

٣- في معجم لاروس- نتاج تخيل يكون نثراً ذا طول ما، يسعى فيه كاتبه إلى شدّ الاهتمام بمغامرات ذات حظ من الخوارق وبدراسة اخلاق الشخصيات وطباعها وأحاسيسها وأهوائها، وتكون هذه الشخصيات متخيلة وكأنها من الواقع[٧] .

٤- الرواية أثر نثري عادي يحتوي على أحداث متخيّلة تمثّل مغامرات نادرة في الحياة وفيها تحليل لمشاعر إنسانية[٨] .

٥- الرواية- قصة خيالية لمغامرات متنوّعة[٩] .

تعريف الرواية لغة واصطلاحًا:

١- الرواية لغة: جاء في المعجم الوسيط قولهم روى على البعير ريا: استسقى، روى القوم عليهم ولهم: استسقى لهم الماء، روى الحديث أو الشعر رواية أي حمله و نقله فهو راو جمعها رواة وروى البعير الماء رواية حمله ونقله، والراوي: راوي الحديث أو الشعر حامله و ناقله، والرواية: القصة الطويلة[١٠].

فقد ورد في لسان العرب عن ابن سيده في معتل الياء روى من الماء بالكسر، ومن اللبن[١١] يروى ريا، والرواية المزادة فيها الماء، ويسمّى البعير رواية على تسمية باسم غيره لقربه منه، والرواية أيضا البعير أو البغل أو الحمار يسقى عليه الماء، والرجل المسقى أصلا رواية... ويقال روى فلان فلانا شعرا اذا رواه له متى حفظه للرواية عنه، من خلال هذين التعريفين اللغويين نلاحظ ان المدلولات المشتركة للرواية تفيد في مجموعها عملية الانتقال و الجريان و الارتواء المادي "الماء" أو الروحي " النصوص و الاخبار" وكلا النوعين

ذو أهمية في حياة العربي، فلقد كان الماء هو هدفهم المنشود من اجله يحلّون و يرتحلون، وكانت رواية الشعر الضرورة اللازمة لكل شاعر، كما كانت الرواية الوسيلة الأولى لحفظ الاشعار و الأخبار و السير.

٢- الرواية اصطلاحا: ورد في معجم المصطلحات الأدبية لفتحي إبراهيم ان: "الرواية سرد قصصي نثري يصوّر شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث و الأفعال و المشاهد، والرواية تشكيل أدبي جديد، لم تعرفه العصور الكلاسيكية الوسطى نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، و ما صاحبها من تحرير الفرد من التبعات الشخصية[١٢]".

وقد ورد في تعريف الأكاديمية الفرنسية انها: "قصة مصنوعة مكتوبة بالنثر، يثير صاحبها اهتماما بتحليل العواطف ووصف الطباع و غرابة الواقع[١٣]"

استنتاجا ممّا سبق فالرواية هي المرآة التي تعكس كل مظاهر الواقع المختلفة يعالج فيها الكاتب موضوعا كاملا دون ان تنعزل عن القارئ فهي أكثر الفنون الأدبية ارتباطا بالواقع.

ثانيًا: معني رواية الأجيال وبعض الأمثلة لها العربية والأجنبية:

تعدّ الرواية اليوم أهمّ الأنواع الأدبية وأكثرها انتشارا وأقدرها على تمثيل الواقع وإعادة إنتاجه بخطاب أدبي يتسم بالجمالية و الرقّى والرواية اليوم أمّ الأداب وجامع نصوصها لما تحتويه من شمولية وقدرة فنية على استيعاب مختلف الأنواع والأجناس الأدبية و الفنية الأخرى وذلك بفضل قدرتها على التقاط الأنغام المتباعدة والمتناظرة والمركبة لإيقاع عصرنا بواسطة طبيعتها الشمولية و الحوارية التي ينطوي عليها النسيج الروائي الذى يجمع عناصر مختلفة.[١٤] وغالبا ما تبتلع الرواية الواحدة الأنواع الأدبية والمعرفية الأخرى ممّا يجعلها جنسا مراوغا يخلق جدلا جناسيا شائكا[١٥].

فهي لا تمتلك قواعد ثابتة لا تتزحزح وهي النوع الوحيد الذي لم يزل يتشكّل بتفاعلها العميق مع تطوّر العصر[١٦]. إذ أنها (نوع لا يمكن الإمساك به)[١٧]. فهي النوع الوحيد المفتقد للقواعد و(يعيش صيرورة دائمة ولا يزال غير مكتمل)(١٨) لان كل رواية على شيء من التعقيد يمكن لها ان تؤلّف صنفا بحد ذاته[١٩].

وعلى هذا الأساس فالرواية مغامرة، وربما ان الناقد قارئ متطوّر غزا النص، فقد أخذ يروي احداث تلك المغامرة[٢٠].

إن الفرادة التي امتازت بها الرواية من دون غيرها من الأجناس الأدبية جعلتها تتربّع على العرش في الأدب العالمي ولاسيما بعدما تغذّت من علم النفس والاجتماع لتصبح ((وثيقة تحلّل وتصوّر عمق المعرفة وتثير الدهشة والشعور بالجمال بعدما كانت أدبا للتسلية وإشباعا للرغبات والميول))[٢١]. فقد استطاعت أن تعبّر عن متطلبات الإبداع في أكثر أشكاله سعة وانتشارا وأشدّها التصاقا بالحقيقة والواقع، وإن وظّفت في تقنياتها الفنية ما وظّفته الأجناس الأدبية الأخرى كالمجاز والرمز[٢٢]، وتمكنت من إعادة إنتاج الحياة العصرية بكل ما تحمل من انفعالات اجتماعية ونفسية ولم تعد تعكس صورة عن اللاجدوى والفوضى اللذين يتمثلان في التاريخ المعاصر فحسب بل كانت تحريرا للخيال الإنساني[٢٣]، ((ومرآة سحرية يستطيع من خلالها الانسان أن يري روحه))[٢٤].

والحقيقة ان الرواية على الرغم من خضوعها زمنا طويلا للتاريخ والتحقيب اللذين رصدا أشكالا سردية مختلفة من حيث ظهورها وتطورها وربما اضمحلالها مثل: رواية الفروسية، والرواية الرعوية، والرواية الاستباقية، ورواية الخيال العلمي، ورواية الاجيال[٢٥]. غير أن هذه التصنيفات وإن تمخّضت عن أشكال سردية مختلفة إلاّ أنها لم تهتمّ بالشكل الواحد بحيث يمكن أن نخلص إلى نتائج دقيقة وواضحة؛ لهذا ظلّت هذه المهمة من مهام التحليل الفني الذي

يكشف عن خصائص وسمات تختلف باختلاف ما تواكبه من تطوّرات على صعيدي الشكل الفني و المضمون.

وقد أشار كثير من النقاد إلى التصنيفات المتعلقّة بالرواية، فمنهم من صنّفها استنادا إلى مضمونها، فيما صنفّها قسم اخر اعتمادا على الشكل، وحظي التصنيف المذهبي باهتمام من قبل الآخرين وربما كان اعتماد التصنيف الاجناسي استنادا إلى التداخل الحاصل بين الرواية والأشكال الفنية الأخرى هو البؤرة المركزية التي انطلق منها البعض الآخر[٢٦].

وقد رصدت الباحثة ساندي سالم أبو سيف في كتابها (الرواية العربية واشكالية التصنيف) أنواعا من التصنيفات بناء على ما شاع في النقد العربي من تغليب الفكرة (الثيمة) العامة سواء أ كانت مذهبية أم مضمونية، أم التقنية الشكلية، أم التركيبية، وقسّمتها على أقسام عديدة:

١- التصنيف المذهبي: وهو التصنيف الذي يقوم على استقراء المضمون للوقوف على المذاهب أو المدارس الأدبية التي تمثّلها الأعمال الروائية، ولقد راجت في النقد العربي التصنيفات الآتية:

الرواية الرومانسية، الرواية الواقعية، الرواية الوجودية.

٢- التصنيف المضموني: ويقوم على استقراء النص الروائي باحثا عن الموضوع المعالج مغلّبا (الثيمة) أو السمة المضمونية الرائجة على السمات الأخرى وجاعلا منها عنوانا للتصنيف؛ كالقول بالرواية السياسية التي وإن كانت تتناول قضايا اجتماعية أو اقتصادية...الخ، الاّ أنها من حيث عمومية المعالجة تتناول موضوعا سياسيا مهيمنا.

٣- التصنيف الشكلي: ويقوم على التقاط تقنية تشيع في العمل الروائي وتميزه، كالقول بالرواية النفسية التي توظّف تقنيات مثل: تيار الوعي، والتداعي الحرّ، والمونولوجات الداخلية...أو الرواية الجديدة التي استندت الي جملة مبادئ تجريبية حداثية، ووظفت تقنيات فنية قطعت الصلة عمّا شاع من رؤى وأساليب واقعية درجت في الرواية العربية، وظهرت في ستينيات القرن الماضي.

٤- التصنيف التركيبي (تداخل الاجناس): وهو التصنيف الذي يقوم على الجمع بين نوعين أو جنسين أدبيين متجاورين في عمل روائي واحد، كتجاور الرواية والسيرة الذاتية؛ أو الرواية السيرالذاتية أو القصيدة السير الذاتية...الخ.

٥- التصنيف الزمني: وهو التصنيف الذي يقوم على معيار زمني، كالقول برواية الستينيات، أو رواية السبعينيات.

٦- التصنيف المكاني: وهو التصنيف الذي يقوم على معيار مكاني أو بيئي، كالقول برواية المدينة أو رواية الريف أو رواية السجن[٢٧].

والحقيقة انّ اغلب النقاد لم يلتزموا معيارا واحدا في تصانيفهم بل جمعوا أكثر من معيار وبناء على ذلك فان عملية التصنيف ليست بتلك السهولة التي يتصورّها البعض وذلك ((الاختلاف في المعايير التي ينطلق منها، وتعثّر التصنيفات بعوائق عديدة بالنظر إلى طبيعة الرواية المراوغة وتعدّد المستويات الجمالية والمضمونية التي من الممكن ان تصنّف الرواية وفقا لها ممّا يؤدي إلى القول بان التصنيف-أساسا-مشكلة مستعصية)).

رواية الأجيال هي الرواية التي تركّز على تعاقب الأجيال في إطار أسرة تبدأ بداية غامضة أو من أصول بعيدة ثم تصعد هذه الأسرة إلى قلب الأحداث تتفاعل مع المتغيرات التاريخية التي تمر بها فتعكس اهتمامات الطبقة الوسطى.

ورواية الأجيال تعبّر أساسا عن أفكار وتطلعات واخفاقات الطبقة الوسطى فيعبّر بها الكاتب عن تطلعات لم تتمّ واحلام مجهضة وأزمات قد تكون اجتماعية أو سياسية أو ثقافية أو اقتصادية

فيتمّ رصد الظواهر الاجتماعية والسياسية والنفسية والحضارية للأجيال المتعاقبة في الرواية.

وتشترك رواية الأجيال مع أشكال رواية أخرى مقاربة لمفهومها وسماتها مثل (الرواية النهرية - الرواية الانسيابية – رواية العائلة – رواية الحقبة).

الرواية النهرية: هي الرواية ذات المساحة الطويلة والأجواء الكثيرة التي توحّدها إشكالية مشتركة، وقد بدأ هذا النوع مع بلزاك في سلسلة مجلدات تصوّر بانوراما عصر بكامله بتقاليده وأعرافه وهزاته السياسية.

ولكن تغير هذا المفهوم مع زولا وأصبح تشمل مسار عائلة كاملة بأجيالها وتحولاتها مثل السلسلة التي ضمت عشرين رواية وحملت اسم عائلة كبيرة روجون مكارث.

وقد بدأ هذا النوع من الروايات في الأدب الأوروبي في القرن التاسع عشر وازدهرت في القرن العشرين ومن ثم أصبحت تيارًا عالميًا، وقد تكون رواية واحدة وليست متسلسلة مثل رواية (الباقي من الزمن ساعة) لنجيب محفوظ أو ثلاثية مثل الثلاثية لنجيب محفوظ أو رباعية مثل الحرب والسلام لتولستوي أو خماسية مثل مدن الملح لعبد الرحمن منيف. أو أكثر من ذلك. وهذه السلسلة يمكن قراءتها وفهمها كلا على حدة ولكن يوجد بها أحداث وشخصيات تتشارك معظم أحداث الرواية أو كلها وأحداث مشتركة يكمّل بعضها بعضا.

الرواية الانسيابية[٢٨]: هي رواية طويلة جدا يشترك في صنع أحداثها عدد كبير من الشخصيات المنتمية إلى أجيال متعددة.

وهي رواية حديثة ترتبط بتقليد فني طويل وقديم هو الفن الملحمي وتتخذ من الشكل الدائري إطارا لها وداخل تعرجات النهر الروائي تقدّم دلالة شاملة وتحليلا نفسيا للطبائع وتصويرا تاريخيا واجتماعيا عظيما وتقدّم الرمزية الأخلاقية أو الفلسفية[٢٩]وأبرز مثال على ذلك ثلاثية محفوظ.

رواية العائلة[٣٠] تحتوي على ثلاثة أجيال على الأكثر الأجداد والآباء والاحفاد وكذلك الأقارب وهذا النوع يكون شبيها بالسيرة الذاتية وذلك مثل رواية حديث الصباح والمساء لمحفوظ.

رواية الحقبة[٣١] تعرض قطاع من الحياة المعاصرة وبالشخصيات في ذاتها دون ان تعني بتطور المجتمع وبذلك تكتسب الشخصيات حقيقتها الإنسانية من تمثيلها لمجتمع ما في حقبة زمنية خاصة

هذا وان كانت رواية الأجيال تحمل أغلب سمات الأنواع السابقة لكنها تتميّز بأن تعاقب الأجيال فيها يعطي صورة واضحة عن تطور المجتمع في تلك الفترة الزمنية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نسوق بعض الأمثلة لروايات الأجيال العربية والأجنبية القديمة منها والحديثة:

روايات الأجيال العربية القديمة:(الحرافيش – الباقي من الزمن ساعة – حديث الصباح والمساء) تأليف نجيب محفوظ.

ثلاثية غرناطة والطنطورية تأليف رضوى عاشور.

من روايات الأجيال الحديثة ورثة آل الشيخ تأليف أحمد القرملاوي.

ملحمة السراسوة تأليف أحمد صبري أبو الفتوح.

أولاد الناس ثلاثية المماليك تأليف ريم بسيوني.

من روايات الاجيال العربية خماسية مدن الملح تأليف عبد الرحمن منيف.

من روايات الأجيال الأجنبية الحرب والسلام تأليف لتولستوي، آل بود نبرك للكاتب الألماني توماس مان.

من روايات الأجيال في الأدب الإسباني:

مائة عام من العزلة تأليف جابريل جارسيا ماركيز.

رباعية مقبرة الكتب المنسية تأليف كارلوس زافون.

ثالثًا: البيئة التي دارت بها الأحداث وأثرها.

تدور أحداث ثلاثية محفوظ في فترة ما قبل ثورة ١٩١٩ ثم مرورا بها والاحتلال الإنجليزي لمصر وقتها وكفاح أهلها وقيادة سعد زغلول والذي تمّ نفيه وقتها ثم قيام الثورة وعودة سعد زغلول من المنفى والكفاح من أجل الاستقلال كل هذه الأحداث تدور في حي الحسين، وهو من الأحياء الشعبية ذ التي تتميّز بخصوصية شديدة حيث يوجد به مسجد الحسين والمعروف أن الناس الشعبيين يبجّلون أهل البيت و مساجدهم سواء مسجد الحسين أو مسجد السيدة نفيسة أو مسجد السيدة زينب، ولذلك نجدهم يتباركون بزيارتهم والدعاء عندهم وصلاة الجمعة في مساجدهم ولا يفرق في هذا الاعتقاد بين رجل وامرأة، فنجد أن السيد أحمد عبد الجواد[٣٢]*، شديد الحرص على أداء صلاة الجمعة في مسجد الحسين واصطحاب أبنائه معه لأداء الصلاة وكذلك كان من أمنيات أمينة[٣٣]* في الجزء الأول من الثلاثية أن تذهب إلى هناك للدعاء والتبرّك، ثم عندما سمح لها السيد أحمد عبدالجواد بالذهاب عقب موت فهمي فكانت تذهب بانتظام وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على شدة تبجيل بسطاء الناس لإل البيت وأولياء الله الصالحين وأنه طقس من طقوس حياتهم.

الحارة عند محفوظ ليست مجرد مكان فنجدها حاضرة بكل مفرداتها من محلات وبيوت ومقاهي لذلك تلعب دورا محوريا في الأحداث.

كذلك البيت القديم الذي هو بيت العائلة له خصوصية عند محفوظ فهوا دائما يرمز إلى الأمان في رواياته.

والبيوت في حارة محفوظ متناسقة وكذلك الأسطح فتلك الأسطح لها دور في الأحداث من لقاء أو فراق أو مشاكل أو متنفس لسيدات البيت والتي كن ممنوعات من الخروج فالسيد أحمد عبد الجواد تاجر ميسور الحال بدرجه تمكنه من توفير حياه مريحه لأسرته في حدود الطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها وبالتالي فالحارة هنا ليست رمزا للفقر ولكنها جزء من الحياه الاجتماعية لهذه الطبقة وهنا تلعب التقاليد التي أرسوها بأنفسهم دورا كبيرا في حياتهم بالرغم من عقمها ولكن وجودها دلالة على الهيبة والسيطرة وكما في حالة السيد أحمد عبدالجواد و فرضه على أسرته نظاما قاسيا من الأوامر والنواهي، ثم بمرور الوقت وما يحدثه من تغيير نجد أن القوانين الصارمة التي أرساها كنظام حياه تنكسر شيئا فشيئا حتى تتلاشى جميعًا بمرور السنين.

أمّا رواية عائلة باسكوال دوارتي لثيلا تدور أحداثها في زمن ما بعد الحرب الأهلية في إسبانيا وتبرز أهمية هذه الرواية في أنها:

أولًا: أسّست لما بعد الواقعية حيث كان تيار الواقعية الذي بدأ بالانتشار في منتصف القرن التاسع عشر هو السائد الذي يتناول طموحات الطبقة الوسطى الصاعدة عندئذ سياسيا عقب عدة ثورات. وإذا كان تأثير الحرب الأهلية على الأدب الإسباني قد استمرّ برأي النقاد والباحثين حتى عام ١٩٧٥؛ إلاّ أن مرحلة ما بعد الحرب كانت مليئة بالأحداث التي أمتدّ تأثيرها فترة طويلة، إلاّ أنه من المهم القول إنه ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥؛ ظهر إلى العلن تيار الوجودية في أدب إسبانيا؛ فخلال عقدي الأربعينيات والخمسينيات كان لكوارث الحرب والمواجهات الأيديولوجية أثرها في ظهور الفن الاجتماعي الملتزم والواقعية الجديدة؛ لكن في الوقت ذاته رسمت نتائج الحرب الأهلية بين عامي ١٩٣٥ و١٩٧٥ مرحلة من القمع الدموي بسبب انتصار نظام الديكتاتورية وبقائه في الحكم لمدة أربعين عاما؛ فهذه الفترة كانت ثمرة انتصار عسكري حققته مجموعة قادها الجيش والكنيسة والقوى المستفيدة على باقي الخيارات السياسية؛ فضلا عن أن نفي معظم المفكرين والفنانين الجمهوريين بنسبة ثمانين في المئة إلى خارج البلاد؛ أدّى بالحركة الأدبية إلى مستنقع فكري؛ بينما عانى أدباء

الداخل من كابوس الخوف من الانتقام والأخذ بالثأر من قبل نظام فرانكو الذي سلّط أجهزة الرقابة على الأدباء.

ثانيًا: تقرر واقع شديد الصعوبة فتجعل القارئ مندهشا من هذا الكم من المآسي والجرائم التي هي نتاج ما بعد الحرب الأهلية في إسبانيا والتي عانى منها الفقراء في الريف الإسباني الذين يتسمون بالعوز المطلق حيث البطالة والجهل والفقر والمرض فهذه الرواية نقلت الواقع المؤلم الذي عاشته اسبانيا بعد الحرب الأهلية والذي تمثل في انهيار على كافة الأصعدة فتخرج لنا رواية عائلة باسكوال دوارتي لتظهر الواقع المرير الذي عانى منه الكثيرون وقتها؛ فتبرز هذه المعاناة وتظهر بجلاء أثر الفقر والجهل على البشر وأثر الحرب وما نتج عنها من انهيار على كافة الأصعدة لاسيما في الفترة الأولى لحكم الجنرال فرانكو والمعاناة من العزلة والرقابة وانعدام حرية التعبير والذي يؤدي إلى الفقر والجريمة وعدم الإحساس بالأمان وزاد على ذلك الحصار الذي فرضته الدول الديموقراطية في أوروبا على إسبانيا مّما زاد الأوضاع سوءا.

نجد هنا حالتين للحرب حالة الثورة والكفاح ضد الاحتلال في ثلاثية محفوظ أدّت إلى إيجابيات وسلبيات وإن كانت ليست بالحدة نفسها التي وجدت في رواية ثيلا، وحالة الحرب الأهلية في إسبانيا والتي أدّت إلى الإنهيار وضياع أناس كثيرين تحت وطأة الظروف المعيشية السيئة والتي أدّت إلى الاتجاه إلى الجريمة كما في حالة باسكوال دوارتي.

المبحث الأول:

البيئة التي تدور فيها الأحداث وتأثيرها ويحتوي ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الأوضاع الاقتصادية و تأثيرها على الأحداث في الروايتين.

أمّا عن الثلاثية فتدور أحداثها في حي الجمالية والحسين وما يتفرّع عنها من شوارع وحارات وقد وضع محفوظ وصفا حقيقا لا يخلو من سحر هذه الأماكن الشعبية ذات الخصوصية فهذه المنطقة مملوءة بالمساجد مثل مسجد الحسين ومسجد السلطان قلاوون ومسجد السلطان برقوق، فيقع المنزل الكبير أمام سبيل بين القصرين ثم يتفرّع جنوبا شارع النحاسين وشمالا شارع بين القصرين مملوءة بالمتاجر الكبيرة ومحلات الصناع والمقاهي والحوانيت الصغيرة، فهذا حي لا يهدأ حتى الفجر فتراه مضيئا بمصابيح عربات اليد وكلوبات المقاهي التي كان يضيئها الكلوب، وهو مصباح كبير يعمل باستخدام الكيروسين، وكان من السمات المميزة للإضاءة في هذا العصر، وفي هذا المكان الذي يموج بالحياة والحركة ليلا ونهارا يقع البيت الكبير بما له من خصوصية فالجميع يخرجون منه ثم يعودون إليه إمّا للزيارة أو للمكوث طويل الأمد بعد فواجع القدر، والبيت يتكوّن من فناء مترب به بئر قد سدّت فوهته منذ تمّ توصيل مواسير المياه إلى المنزل خوفا على الصغار، وحجرتين كبيرتين حجرة فيها فرن وتستعمل كمطبخ، والحجرة الأخرى تستخدم كمخزن، ثم طابقين الأول للأولاد به حجرات نومهم، والطابق الأعلى الذي توجد به حجرة نوم الوالدين، وحجرة الطعام، وحجرة للجلوس، وحجرة فارغة إلاّ من أدوات اللعب للأبن الأصغر.

أمّا عن سطح البيت فكان يمتلئ بالحمام والدجاج وفي جزء منه كانت فيه سقيفة غرست فيها شجرتين من الياسمين واللبلاب فكان المكان كأنه بستان تفوح منه رائحة الياسمين، وقد فعلت ذلك أمينة سيدة المنزل زوجة السيد أحمد.

نحن أمام منزل عائلة ميسورة الحال من الطبقة الوسطى، فالأب السيد أحمد عبد الجواد تاجر ميسور الحال، وهو رجل يوّفر لأسرته الحياة المادية الكريمة، ويصرّ على تعليم أولاده الذكور فقط إذ كان في هذا الوقت لا تميل الأسر في هذه الطبقة إلى تعليم بناتهم في المدارس ولم تكن مدارس البنات منتشرة،

والسيد أحمد عبد الجواد كربّ أسرة يحرص على ألاّ ينقص منزله شيء بالرغم من ارتفاع الأسعار بسبب الحرب الدائرة منذ ثلاثة أعوام ولكنة قادر على توفير الحياة الكريمة لأسرته وتعليم أولاده فضلا عن ذلك توجد خادمة لمساعدة سيدة المنزل فالحرب لم تؤثّر عليهم بشدة حتى مع ارتفاع الأسعار وندرة بعض السلع.

نأتي الي الأبناء نجد الأبن الأكبر ياسين هو كاتب في مدرسة النحاسين يعيش في منزل والده، وفهمي الطالب في مدرسة الحقوق وكمال الطفل الذي يدرس في مدرسة خليل آغا، والفتاتان خديجة وعائشة اللتان تعيشان بانتظار الزوج المناسب مثل معظم الفتيات في أعمارهن في ذلك الوقت، وإن كانت الكبرى خديجة ليس لها حظ وافر من الجمال بعكس الصغرى عائشة الجميلة جمالا مبهرا وهذا كان يسبّب للأخت الكبرى خديجة ضيقا وعقدة ما ويأسا من أنها لن تجد من يرضى بها زوجة لأنها ليست جميلة كأختها، وهنا نجد انّنا أمام أسرة ميسورة تعيش في راحة لا يشكو أفرادها من ضيق ذات اليد فبالرغم من الحرب والغلاء فلم يكونوا يعانون ماديا فتمّ زواج الأبنتين عائشة اولا ثم خديجة وتمّ تجهيزهما بما يليق بعروس لأب ميسور وإن كن قد انتقلن إلى بيت زوجيهما وهما رجلان ممّا يطلق عليهما عاطلين بالوراثة أخوين يعيشون في سعة من العيش من ريع أملاك تدرّ عليهما ما يكفل لهما حياة رغيدة في حدود الطبقة المتوسطة، أيضا ثم تتوالى الأحداث صعودا وهبوطا فيتبدّل الحال من العيش الرغيد إلى ضيق الحال وليس الفقر ولكن من اعتاد الحياة الرغيدة لا يستطيع التنازل عنها فنجد أنه بمرور السنين تناقصت ثروة السيد أحمد عبد الجواد وخصوصا في الجزء الثالث عندما تعرف على زنوبة العوادة ووقع في غرامها بعد فترة انقطاع دامت سنين حزنا على ولده فهمي الذي قتل ضمن أحداث ثورة ١٩١٩ فنجده ينفق عليها ببذخ لم يعتده في الإنفاق على نزواته ثم تصفية محله بعد أن أعتلّت صحته وأصبح طريح الفراش ثم ياسين أبنه الذي ضيع جزءا كبير من ميراثه من والدته على نزواته وزواجه وطلاقه فلم يعد له سوى منزل يقيم في شقة منه وكمال الذي كبر واصبح معلما للغة الإنجليزية للمرحلة الابتدائية يكفيه راتبه بالكاد وكذلك عائشة التي مات زوجها وابنيها بالتيفويد، وعادت إلى بيت والدها مع ابنتها لأنها لا تطيق الحياة في منزل كان عامرا بزوج وأبناء رحلوا فجأة فأصبحت شبه ميتة وإن كانت لا تعاني من أزمات مادية ولكن أزمتها النفسية اكبر من ان تتخطّاها وخديجة تعيش حياة معقولة في ظل زوج لا يعمل ولكن ايراده يكفل لهما حياة كريمة، وهنا نجد أنه عندما كانت الحياة مقبلة بكل مباهجها لم يتذكّر أحد في غمرة استمتاعهم بأن هناك وجها آخر لابد أن يظهر وأن تقلب لهم الحياة ظهر المجن فكل منهم كان يتحسر في ألم على ما فقده وعلى ما ضيعه من أموال أو فرص لحياة أفضل أو صحة فخفت ضوء البيت الكبير وقل زواره وملأته الأحزان.

تدور أحداث رواية عائلة باسكوال دوارتي في قرية من قرى الريف الإسباني، قرية من تلك القرى البعيدة التي تقع على طريق طويل لا يأبه بها أحد ولا يتذكّرها أحد مثلها مثل كثير من القرى الصغيرة، بعد انتهاء الحرب الأهلية في إسبانيا التي كانت حربا مروّعة خلّفت الكثير من الآثار المدمّرة على كافة الأصعدة فتدهورت الحالة الاقتصادية تدهورا كبيرا في المدن الكبرى، فما بالنا بالقرى الصغيرة التي يعاني سكانها أصلا من الفقر لتأتي الحرب الأهلية لتزيد من معاناة أهلها، فنجد هنا باسكوال يصف قريته بأنها حارة ومشمسة ويبدو من الوهلة الأولى ان باسكوال لا يعيش حياة جيدة على الاطلاق فبيته أو بالأحرى بيت والده يقع بعد آخر بيت من بيوت القرية بمسافة ليست كبيرة

وهو بيت صغير وفقير لا يوجد ما يميّزه

سوى مطبخ يكون رطبا في الصيف إذا ما فتحت الأبواب ودافئا في الشتاء إذا ما أعتنى بالجمر في الموقد جيدا، وهو مكان اجتماع الأسرة.

و باسكوال لم ينل حظا وافرا من التعليم فقد أرسله والده لفترة قصيرة إلى المدرسة فقد كان والده يعرف الكتابة والقراءة ويرى ان الانسان يجب أن يتسلّح بالذكاء في مواجهة الحياة بعكس والدته التي كانت لا تعرف القراءة ولا الكتابة ولا تريد ذهاب أبنها إلى المدرسة فعلى حسب اعتقادها أن بقاءهم فقراء في الحياة لا يحتاج إلى تعليم وللحقّ فان باسكوال لم يغريه حضور الدروس فترك المدرسة في سن الثانية عشر من عمره بعد ما أصبح يعرف القراءة والكتابة والجمع والطرح بمعنى أصبح عنده ما يمكنه لتدبّر أمره كما جاء على لسانه في الرواية لذلك نجد أن الفقر من سمات الحياة الرئيسة التي تميز حياة باسكوال من طفولته المبكرة لاسيما أنه الأبن البكر لهذه العائلة وعندما أشتدّ عوده كان يصيد طيور الحجل ويصحبه كلبه وكان الجميع يشهدون بمهارته في الصيد بالبندقية وربما كانت مهارته هذه تنفيسا عن غضبه وقلة حيلته فكأنه يضرب بالبندقية فقره وظروفه السيئة لا الطيور التي يصطادها فهذا وإن دلّ فإنما يدلّ على عنف شخصيته، لذلك كان لا يفضّل صيد السمك بل يعدّه مضيعة للوقت.

من هنا نجد ان باسكوال عرف الحاجة والعوز منذ نعومة أظافره وكذلك أخوته، أمّا والده فكان يعمل بالتهريب لذلك كان مطاردا معظم الوقت، وعندما دخل السجن فقدت الأسرة مصدر دخلها، ووالدته كانت سكيرة وعندما جاءت أخته روساريو إلى الدنيا وهو في سن صغيرة بعد مخاض عسير نشأت هي الأخرى في البيئة الفقيرة نفسها فكانت منذ طفولتها تسرق بخفة غجرية وكذلك هوت الشرب فلم يكن أحد ليقوّمها أو لينشئها نشأة سليمة وعندما وصلت لسن الرابعة عشر سرقت القليل الذي يملكونه وهربت لتحترف البغاء فهي لا تملك سوى جسد وسن صغيرة وهذا هو ما تستطيع بيعه.

وهنا نجد ان الأبطال اختلفت طريقة تعاملهم مع وضعهم الاقتصادي المزرى فباسكوال كان يقوم بالصيد ثم عمل في عده أعمال دنيا توّفر له القوت الضروري، ونجد أن له نزعة إجرامية اذ لم يتورّع عن ارتكاب جريمة القتل، بينما والده كان يعمل مهرّبا والقليل الذي يأتي به يقيم أودهم وهو مهدّد طوال الوقت، ولكن أخته كان لها شأن آخر تعاملت في حدود ما تملك وهو جسدها وخفة يدها في السرقة، أمّا الأم فلا همّ لها سوى توفير نقود الشراب بأية وسيلة، وفي أحداث متقدّمة من الرواية كانت على علاقة برجل قد يوّفر لها بعض الاحتياجات قبل موت زوجها وبعد موته والأرجح ان الطفل الثالث الذي ولد معاقا هو ابن هذا الرجل.

فتأثير البيئة من ظروف وأشخاص انعكس انعكاسا سيّئا على الأبطال في حياتهم وأسلوب معيشتهم وأدّى بهم إلى نهايات مؤلمة كحياتهم، كذلك أحوالهم الاقتصادية كانت سيئة وممّا زاد من معاناتهم سوء تعاملهم مع الأزمات التي مرّت بهم.

المطلب الثاني: العلاقات الاجتماعية وأثرها في الأحداث.

عندما نتحدث عن العلاقات الاجتماعية التي تجمع الشخصيات في ثلاثية محفوظ نجد أن هناك عدة أنماط فالعلاقة التي تجمع السيد أحمد عبد الجواد بأسرته هي علاقة تسلّط وجبروت وأوامر من جانبه وخضوع و خوف من جانبهم وإن كانت بعض هذه الأوامر غير منطقية أو مخالفة لتطلعاتهم.

فقد قام بطرد زوجته من البيت لمجرد انها خرجت لتزور مسجد الحسين وتصلي هناك وتدعو لأولادها وفعل ذلك باستهانة شديدة لكي تتأدّب ولا تكرّر هذه الفعلة الا وهي خروجها بدون إذن منه، وعلاقته بزوجته علاقة السيد بالعبد ولا يوجد وصف آخر إذ أنها دائما حاضرة في خدمته رهن لإشارته، فهي

علاقة لا تتسم بالود أو الحميمية فهي أوامر فقط فأمينة تعي النظام جيدا وتنفذه حرفيا وإذا بدر منها خطأ فلابد من عقاب شديد حتى وإن كان لا يعدّ خطأ وعلى ذلك فهي لا تكاد تخطئ خوفا ورهبة منه.

أمّا علاقة السيد أحمد عبد الجواد بأولاده فهي علاقة استبداد فيقوم باختيار العروس لأبنه الكبير ياسين دون رغبه منه فيكفي أنها ابنة صديقه الحميم فلابد وأنها ستكون زوجة مناسبة لابنه بغضّ النظر عن قبول الأبن لمسألة الزواج من عدمه، وكذلك طلاقه من زوجته عند ما اكتشفت محاولة خيانته لها مع جارتها فكما أجبره والده على الزواج أجبره على الطلاق ولا رأي له.

أمّا فهمي فعلاقته بوالده علاقة احترام ولكن تنقلب إلى الأمر الذي لا رجعة فيه عندما علم بنشاطه السياسي في مواجهة الاحتلال الإنجليزي و مشاركته في مظاهرات ثورة ١٩١٩ فقد غضب الأب الذي يعد نفسه سياسيا مخضرما لأنه يبدي رأيا في الأحداث دون مشاركة تذكر، فهو سياسي بأضعف الايمان وهو القلب فيأمر ابنه بالكفّ عن المشاركة في أي نشاط سياسي لأنه في نظر والده هو المستقبل الذي سيرفع العائلة من عائلة التجار الميسورين إلى طبقة أخرى، وهي طبقة القضاة

أمّا كمال الأبن الأصغر فقد كان يخاف من أبيه خوفا شديدا لأن أي مخالفة لأوامر الأب سينجم عنها عقاب شديد.

نأتي إلى علاقة السيد أحمد عبد الجواد بابنتيه خديجة وعائشة ففيها تناقض غريب فإن كان لا يرفع الكلفة معهن ولكنه يحبهن بقدر كبير وإن لم يفصح عن ذلك فقد كان منزعجا جدا وخائفا على ابنته عائشة وهي تعاني الآم المخاض وهي تلد طفلها الأول، وكان في شدة الخوف على مستقبل ابنته خديجة الاّ تتزوج لأنها لم تنل قسطا وافرا من الجمال.

أمّا علاقة السيد أحمد عبد الجواد بوكيله جميل الحمزاوي فهي علاقة محبة واحترام متبادل وجميل الحمزاوي وكيلا للسيد ومن قبله كان وكيلا لوالده، وتختلف علاقة السيد أحمد عبد الجواد بالمحيطين به قربا وبعدا فهي علاقة خوف ورهبة من جانب أفراد أسرته له وأوامر وعقاب من جانبه لهم وعلى صعيد آخر علاقة محبة واحترام بينه وبين الآخرين من خارج محيط أسرته.

فالسيد أحمد عبد الجواد مصاب بالازدواجية فهو يقضى الليل مع الغواني ويطرب لسماع الغناء ولا يستغنى عنه ولا عن الخمر وله في كل فترة عشيقة ومع ذلك فهو يؤدّي فروض الدين بخشوع وتبتلّ مقنعا نفسه بأن الله سيغفر له نزواته مادام يؤدّي فروض الدين وانه لابد في وقت ما سيتوقف عن كل ذلك.

أمّا عن علاقة أمينة بمحيطها الا وهو أبناؤها في المقام الأول فهي الأم المعطاء التي تتميز بالطيبة تهتمّ بطعامهم وملابسهم وتحاول تقويم ما تراه هي اعوجاج ولا تكفّ عن قراءة آيات القرآن والدعاء لدرء الحسد عن أولادها والدعاء لهم فهي بالمجمل سيدة شديدة الطيبة قد تصل لحدّ السذاجة وعلاقتها بابن زوجها ياسين فهي لم تنظر إليه يوما بعيون زوجة الأب بل كانت تعامله كأنه أبن لها.

أمّا عن علاقته أمينة بالجيران فهي محدودة إذ لا يسمح لها السيد أحمد بالاختلاط الاّ في أضيق الحدود فتزورها الجارة الحسناء أم مريم زوجة جارهم المريض رضوان مع ابنتها مريم أو تتبادلان التحية من على سطح المنزل وكذلك صلتها بحرم المرحوم شوكت والتي خطبتها للسيد أحمد فقد كانت بين عائلة السيد أحمد وعائلة المرحوم شوكت صلة ودّ قوية منذ الجدود ثم أصبحت حماة لابنتيها خديجة وعائشة فهي تكنّ الود والمحبة لهن وهن يبادلنها بالمثل، وكذلك فهي تتعامل مع أم حنفي الخادمة التي تعينها على أعمال المنزل برأفة ورحمة بل تعدّها فردا

من العائلة.

أماً عن علاقة الأبناء ببعضهم فهي علاقة لا تخلو من بعض المشاكسة من خديجة ويردّ عليها بالمثل من أخواتها ولكنها مشاكسة لا تخلو من محبة فخديجة تنقد الجميع نقدا لاذعا فلا أحد ينجو من نقدها ومع ذلك فهي طيبة القلب لا تضمر شرّا لأحد. ولكن قد تخرق القوانين الصارمة وقد أحب فهمي مريم جارتهم وكان يراها من سطح منزلهم لكن لم تكلّل القصة بالنجاح لرفض والده زواجه منها تاركا غصة في قلب الأبن.

أمّا ياسين فنجد أنه يشبه والده في حبه للخمر وللنساء ولكن علاقته طيبة بزوجة أبيه فيراها خير مثال للأم بعكس والدته التي كان في قطيعة معها ويراها سبة في جبينه نظرا لزيجاتها المتكررة وكذلك لذكرياته الأليمة عندما كانت تجعله وهو طفل رسول الغرام بينها وبين رجل تحبه.

ولكن بعد موت فهمي ساد جو من الفتور في العلاقات الاجتماعية والتي تربط الأسرة بالمحيطين بها فقد ظّنت أمينة أن جارتهم أم مريم كانت شامتة في موت ابنها فكانت القطيعة بينهم وحالة الحزن الشديد التي دخلت فيها أمينة.

ثم نجد حالة من التوتر طرأت على علاقة ياسين بزوجة أبيه عندما علمت بنيتّه الزواج من جارتهم مريم مّما أدّى إلى تركه منزل والده والإقامة في منزل والدته الراحلة.

كذلك طغت حالة من المرارة على علاقة ياسين بوالده عقب إصرار الأب على طلاق ياسين لزوجته حفاظا على صداقته بمحمد عفت، ثم حدثت القطيعة بين السيد أحمد وابنه ياسين بعد زواجه من زنوبة العوادة.

أماً عائشة فقد انقطعت علاقتها بالدنيا وما فيها عقب وفاة ابنتها وهي تلد فبدا وكأنها شبح يتحرك وأصبحت لا ترغب في التعامل مع أحد.

ثم مع تتابع الأحداث كبر كمال وحصل على البكالوريا وأصبح له مجموعة من الأصدقاء من خارج وسطه فهم من أصدقاء الدراسة وكانت علاقته بهم بداية تتسم بالودّ ثم تحولّت فتورا مع حسن سليم لأنه كان منافسا له في حب عايدة ثم تزوجها ليصدم كمال في حبه ولكن علاقته بشقيق عايدة ظلت قائمة كذلك علاقته بباقي الأصدقاء وإن شابها بعض الفتور نتيجة للبعد بسبب سفرهم للخارج أو بسبب عملهم خارج القاهرة.

العلاقات الاجتماعية في رواية عائلة باسكوال

دوارتي علاقات غير سوّية إذ يجمع بين أفرادها النفور أو الكراهية وفي أحيان قليلة حب المساعدة وذلك غالبا من الجيران فباسكوال علاقته بوالده كانت مزيجا من الاحترام والخوف فقد كان يكنّ له بعض الاحترام ولكن عندما يغضب الأب حين يعارضه أحد فإن باسكوال كان يخافه بشدة لأنه كان يتعرّض للضرب ولا يكون أمامه إلاّ الاستسلام وذلك لصغر سنه أو ترك المنزل فالأب كان يحلّ مشاكله بالنبيذ والعنف.

أمّا عن علاقته بأمه فتتسم بالكراهية منذ أن وعى على الدنيا فهي لم تمارس أيا من طقوس الأمومة كانت فظّة سكيرة على حدّ تعبيره في الرواية ترفسه بقدمها فتترك أثر الضربة علامة زرقاء على أضلاعه أو جرحا يسيل منه الدم.

ولكن علاقته بأخته كانت تتأرجح ما بين الغضب والعاطفة الأخوية فعندما وولدت كان يشمئزّ منها ثم أصبح يشعر بنوع من المحبة التي تكون بين الاخوة ثم الغضب لأفعالها من سرقة القليل الذي يملكونه إلى هروبها وممارسة البغاء وكذلك معايرة الشخص الذي هي على علاقة به له جعله يشعر بإنه عديم القيمة وكان يود قتله ولكن لم يفعلها وقتها.

علاقة باسكوال بأخيه ماريو كانت تحكمها الشفقة الشديدة فقد كان الأخ معاقا لا يتلّقى أي عناية من الأم فكان ينعته دائما بالمسكين والبائس

ولكنه حزن على هذا الأخ عندما مات ربما لأنه موته كان حادثة بشعة كحياته القصيرة.

كذلك كان يشعر بالكراهية الشديدة تجاه الدون رافاييل والذي كان على علاقة بوالدته والذي يشكّ ان الأخ المعاق ماريو هو أبنه وكانت اخته روساريو تشاركه هذه الكراهية.

أمّا عن علاقة هذه العائلة بالمحيط والذي يمثّله الجيران من أهل القرية فكانت تربطهم بهم علاقة أشبه بالإحسان وان كانت تأتي في صورة مواساة عندما تلمّ بهم فاجعة فقد كان يكنّ الاحترام للسيدة إنجرايثا وهي المتخصصة في القرية بالجنائز والتوليد فكانت دائما حاضرة في ولادة أو مرض تقدّم المساعدة لهم كما اعتادت.

وهنا تستوقفنا علاقة الأب بأبنائه فالأب كان يريد للابن أن يتعلم ربما كان في قرارة نفسه يريد أن يكون ابنه في حال أفضل منه ولكن ربما لم يكن يتوّفر عنده الوعي ولا الإرادة ولا الظروف المناسبة للتنشئة الجيدة لأبنائه عموما فلم يكن يتحلّى ب]اي فضيلة ليعلمّها لأبنائه ولكن علاقته بابنته كانت مميّزة فقد كان يحبّها جدا و عندما رحلت عن المنزل كان حادّا وعنيفا إذ كان وجودها فقط ورؤيتها أمامه كان يبعث على الراحة بالنسبة له.

ولكن المثير للغرابة هنا هو علاقة الأم بأبنائها التي من الصعب تصنيفها هل هي كراهية أم نفور أم عدم اكتراث و لكن في قليل من الأحيان قد يكون بها شيء من الاهتمام.

كذلك علاقة الأم والأب ببعضهما بعض علاقة كراهية بحته لا يوجد بها أي نوع من الاحترام فدائما ما يتبادلون السباب وعندما يهمّ الأب بضربها تفعل بالمثل وعند هذا المشهد تحديدا يشعر باسكوال الطفل أحيانا بالسعادة لرؤية أحدهما يتلقّى الصفعات من الاخر.

نأتي إلى علاقة باسكوال بزوجته فهو في البداية كان متردّدا في خطبتها بالرغم من انجذابه لها وبعد أن انتهت مراسم دفن أخيه اغتصبها ثم أصبحا في علاقة لمدة خمسة أشهر لتصبح حاملا فتصارحه بذلك ويفعل ما يجب عليه كرجل فتزوّجها، ولكن كان في قرارة نفسه نادما على هذا الخطوة، وتتأرجح علاقته بزوجته ما بين الندم على زواجه والفرحة بالأبن المنتظر ثم الحزن عليه عندما أجهض ثم فرحته بميلاد الأبن الثاني ثم حزنه الشديد عليه بعد وفاته.

هنا نرى شخصية عنيفة لا رادع لها تفعل ما تراه مناسبا لها فقط وذلك نتاج طبيعي لبيئة غير سوّية ونشأة وسط أفراد يفتقرون للحد الأدنى من الفضائل.

المطلب الثالث: تأثير الظروف السياسية على الأحداث.

تبدأ الأحداث في الثلاثية أثناء الحرب العالمية الأولى ووفاة السلطان حسن كامل وتولي الملك فؤاد عرش مصر أو كما عرف وقت تنصيبه بالسلطان فؤاد وقبل قيام ثورة ١٩١٩ وإن كانت البلد في حالة توتر شديد بسبب الاحتلال وهنا السيد أحمد عبدالجواد يتكلم في السياسة محللّا ما يحدث حوله ملقيا إياه على مسامع زوجته أحيانا أو أولاده بلهجة الأمر وكأنه سياسي مخضرم فكل ما يقوله هو عين الصواب ولا مجال للخطأ فيه وهو واثق أنه لن يجرؤ أحد على مراجعته فيما يقول ولو كان خطأ والعادة كلما ذكرت الحرب ذكر معها ارتفاع الأسعار واختفاء بعض المواد الضرورية وهذا ليس تذكيرا بأثر الحرب ولكن تذكير لعائلته بأنه يقوم بواجبه نحوهم على أكمل وجه فلا ينقصهم شيء حتى وإن شحّ وغلا ثمنه كذلك لا يجد فرصة إلاّ ولعن فيها الجنود الأستراليين المنتشرين في القاهرة ويعيثون فيها فسادا هو يلعنهم لا لأنهم جنود احتلال ولكن لأنهم حالوا بينه وبين مجالس اللهو والطرب في الازبكية وبالطبع هو لا يعلن ذلك حفاظا على هيبته بين أفراد أسرته فهو قانع دائما بوطنيته

بالعاطفة والمشاركة الوجدانية دون أي عمل من شأنه تغيير نظام حياته لذلك فلا يأتي على باله أبدا أن ينضمّ إلى لجنة من لجان الحزب الوطني بالرغم من شدة تعلقه بمبادئهم أو حضور اجتماع من اجتماعاته لأنه يرى في ذلك إهدارا لوقته الذي يقضيه مع أسرته أو في تجارته وعلى الخصوص لهوه بين الأحباب والخلان فالوطن عنده له مكانه في القلب والعواطف والمال كلما تيسر له ذلك و عندما أحضر صديقه محمد عفت التوكيلات التي طبعها الوفد ليثبت بها أنه يتكلم باسم الأمة و طلب منه التوقيع عليها هو والحمزاوي مثل من سبقوهم بالتوقيع وقع وفي نفسه كل الرضا فتأييد الحركة الوطنية هنا لن يكلّفه سوى توقيعه وبذلك يكون قد أدّى واجبه تجاه الوطن.

أمّا الأبناء الذين هم في سن الشباب فقد كانوا يأملون أن تنتهي الحرب فياسين يتمنّى أن ينتصر الألمان ومن ثم الأتراك وتعود الخلافة ولكن هذه الأمنيات كانت وقت الحديث عنها فقط فهو لا يشغل باله بأي من متاعب الدنيا فهو محبّ للهو ولا يميل للجاد من الأمور، و فهمي طالب مدرسة الحقوق الذي يتمنى أيضا انتصار الألمان و انتهاء الحرب وإن كان شديد الحماس لانتهاء الاحتلال وخروج الانجليز من مصر فقد كان سعيدا بالأنباء التي وردت عن طلب سعد زغلول ورفاقه السفر إلى مؤتمر لندن لعرض قضية استقلال مصر عليه.

ولم يعرف طريق المقاهي إلاّ تلبية لنداء الوطنية فقد تمّت دعوة الطلبة و غيرهم للتجّمع و التشاور في الحدث الجلل الذي تمر به مصر تلك الأيام الا وهو التوكيلات وسفر الوفد المصري إلى لندن لعرض قضية الاستقلال ثم نفي سعد زغلول ورفاقه إلى مالطة فبدأت الحركة الوطنية في طباعة المنشورات وكان فهمي يقوم بتوزيعها ثم شارك في المظاهرات التي تطالب بعودة سعد زغلول.

عقب استشهاد فهمي كان السيد أحمد عبد الجواد ناقما على الثورة ثم ما لبث أن هدأ لما لقى من إكبار و إجلال بوصفه والد الشهيد.

ثم مضت خمس سنوات وكان وقتها يتأهّب سعد زغلول و مصطفى النحاس للسفر من باريس إلى لندن للمفاوضة.

ثم جاء عام ١٩٣٠ والأعوام التي تليه تلك الفترة كان يسمّيها التجار أيام الرعب إذ استبدّ إسماعيل صدقي بالحياة السياسية وسيطر القحط على الحياة الاقتصادية وأفلس العديد من التجار لكن السيد أحمد عبد الجواد كان من المحظوظين لان ضيقته لم تبلغ حد الإفلاس الذي تهدده عاما بعد عام. هنا نجد أن كمال امتلأ بمرارة التجارب السياسية التي خلفّتها الأعوام السابقة فقد عطّل محمد محمود الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد كذلك سنوات استبداد إسماعيل صدقي ثم ما لبثت أن ظهرت الأجيال الشابة المتمثّلة في رضوان ابن ياسين وأحمد وعبدالمنعم أبناء خديجة يجمعهم الوفد في البداية ثم تجرفهم تيارات أخرى بعدئذ فهذا هو العام ١٩٣٥ وقد مرت ثماني سنوات على وفاة سعد زغلول وخمسة عشر عاما على الثورة وما يزال الانجليز في مصر في كل مكان ولا تزال الامتيازات الأجنبية قائمة والملك فؤاد على سرير المرض وعاد دستور ١٩٢٣ للعمل والثقة في مصطفى النحاس كبيرة ثم موت الملك فؤاد وتنصيب ابنه فاروق ملكا على مصر وأخذت تيارات سياسية جديدة في الظهور مثل الأخوان المسلمين التي أنضمّ اليها عبدالمنعم ابن خديجة أمّا ابنها الآخر أحمد فأصبح شيوعيا ليلقى القبض عليهما معا في نهاية الثلاثية.

كانت إسبانيا تعيش ظروفا صعبة فبالرغم من انتهاء الحرب الأهلية عانى الناس من الفقر والبطالة فكان حلم السفر إلى أمريكا للهروب من هذه الظروف الصعبة يراود الكثيرين فإذا أضفنا إلى الدمار الاقتصادي الذي رفع معدلات الفقر مشكلة

الريف وندرة العمل به والفقر الذي يعيشه الريفيون سنجد أن المعاناة قد تضاعفت لدرجة كبيرة جدا فنجد باسكوال الذي ولد ونشأ في فقر مدقع بعد وفاة ابنه الثاني حانقا على وضعه ويسعى إلى تغييره لذلك فكر في الهرب من القرية لعلة يجد حياه أفضل بعيدا وكما هو متوارث عندهم في العائلة من يريد الرحيل يقوم بسرقة القليل الموجود في المنزل ويرحل فقد ذهب إلى مدريد بالقطار ولم يكن ينوي البقاء بل كان يريد أن يجد أي نقطة يستطيع العبور منها إلى أمريكا وبسبب الأحوال المتردية عموما في إسبانيا وقتها فقد كان خائفا من النشالين واللصوص فلم يبحث عن مأوى فور وصوله ليلا فقد انتظر حتى الفجر حتى يكون في مأمن فمكث في مدريد أسبوعين ثم رحل إلى لاكورونيا فوجد أن ما معه من نقود لا يكفي لنصف المطلوب للسفر إلى أمريكا فأسقط في يده وبقي في لاكورونيا سنة ونصف أخرى عمل فيها بعض الأعمال الدنيا إذ أنه لا يجيد أي شيء ثم فكّر في العودة إلى قريته مرة أخرى وعاد فعلا. ونجد أن فكرة الهروب من بلد مثقل بالأعباء ولا توجد به حياه كريمة بلد دمرته الحرب الأهلية كانت فكرة رائجة في ذلك الوقت فلم يكن فقط بسبب الوضع الاقتصادي السيئ ولكن كانت هناك ايضا عدم حرية التعبير وتصفية الحسابات السياسية مع الخصوم المهزومين ومن يحسب عليهم أو من يريد إلصاق تهمة بأي شخص فبعد الدمار الذي تخلفّه الحروب يكون أيضا الفوضى وعدم الشعور بالأمان مستمرين لبعض الوقت حتى يتمّ فرض النظام مرة أخرى لكن بعد رحيل الجنرال فرانكو بعد أربعين سنة من وجوده في الحكم كانت إسبانيا في وضع جيد من خلال تبادل السلطة وحدوث نهضة اقتصادية وتعليمية على كافة الأصعدة ولكن البدايات دائما ما تكون في غاية الصعوبة وتخلف وراءها الكثير من الضحايا.

المبحث الثاني

دور المرأة و أثره في الأحداث

المطلب الأول: تأثير الأم سلبا و إيجابا

في الثلاثية نجد نماذج عدة للأمهات الجيد منها والسيئ فأولها أمينة وهي أم عطوف لا هم لها سوى أن تنشئ أولادها نشأة سليمة في حدود إدراكها فهي شديدة الطيبة معهم لا تستخدم العنف اللفظي أو البدني معهم و إنما المعاتبة الرقيقة لمن يخطئ منهم و كمعظم الأمهات في ذلك الوقت ترى أن واجبها ينحصر في الإشراف على تنفيذ أوامر الأب حرفيا والاهتمام بمأكلهم وملبسهم. وهي لا تفرق في المعاملة بين أولادها وبين ياسين الابن الأكبر لزوجها من زوجه سابقة فهي تعتني به مثل أولادها تماما وذلك بحكم طيبتها وسماحة نفسها وعندما تزّوج ياسين معهم في المنزل كعادة الناس وقتئذ عاملت زوجته كأبنة لها ومن أحبّ الأوقات لنفسها وللأولاد اجتماعهم اليومي لشرب القهوة والحديث معا وهي عادة حرصوا جميعا عليها حتى بعد زواج البنات.

فتأثير الأم هنا إيجابي طيب ولها كل الحب في نفوسهم ولمَ لا فهي الصدر الحنون الذي يذهبون إليه دون خوف من تقريع أو ملامة.

ننتقل إلى نموذج آخر للأم في الثلاثية فنجد هنية الزوجة الأولى للسيد أحمد ووالدة ياسين والتي طلقّها في بداية زواجهم لأنها عارضت إرادته ولم تمتثّل لأوامره فقد كانت من النوع متقلّب الأهواء متمرّدة لذلك تعدّدت زيجاتها ولم تكن حريصة على ولدها الوحيد فنشأ كارها لها.

أما أم مريم الجارة الحسناء زوجه السيد رضوان المريض دائما وكانت تسكن بجوارهم فلا تراها إلاّ متزينة دائما جريئة وكانت الأبنة تحذو حذو الأم فانتهت الاثنتان نهاية سيئة.

هناك أمّ من طراز آخر الا وهي حرم شوكت وهي سيدة من عائلة غنية على صلة قديمة بعائلة

السيد أحمد ولها ولدان من العاطلين بالوراثة حصلوا على الابتدائية القديمة من باب الوجاهة الاجتماعية ليس إلاّ وظلا قابعين في البيت يعيشان من ريع أملاكهم بحجه ان الشو كتليه (نسبه الى آل شوكت) لا يعملون والأمّ تشجعهم على ذلك بكونه تقليدا عائليا. كان من المتوقع أن تحذو البنات اللاتي أصبحن أمهات حذو الأم ولكن لم يحدث فعائشة كانت تدلّل أطفالها قبل وفاتهم ثم انعزلت عن الدنيا تماما بعد فجيعتها الأخيرة في أبنتها أمّا خديجة فلم ترث شيئا من طباع والدتها فقط تعلمت منها المهارة في ادارة شؤون المنزل و لكنها كانت حازمة مع أولادها قدر ما استطاعت فلم تكن تريدهم عاطلين بالوراثة مثل والدهم. و زينب زوجة ياسين لم تكن أمّا بالمعنى المعروف فقد طلّقت وهي حامل وولد الطفل في منزل والدها فأهلها هم من تولّوا تربية أبنها فلم يحظ بالاهتمام الكافي فنشأ رضوان مشتّتا وكأنه يتيم الأم بلا أي انتماء حقيقي سوى لنفسه. أمّا زنوبة زوجه ياسين الأخيرة فكان كل همها أن تنشئ أولادها تنشئة جيدة ولكن القدر لم يمهلها فمات ابنها البكر صغيرا ولم يكن لها سوى ابنة وحيدة حرصت على تنشئتها نشأة معتدلة مطيعة أمر زوجها في مسالة تعليمها إلى مرحلة معينة لتتحضر بعدها للزواج وزنوبة قد رمت ماضيها المشين خلف ظهرها وأبت إلاّ أن تكون زوجة محترمة وأما جيدة. أمّا آخر أمّ ورد ذكرها في الثلاثية فهي حرم عبد الحميد شداد الذي كان مبعدا مع عائلته إلى فرنسا بعد نفى الخديوي عباس فنشأ أبناؤها الكبار حسين وعايدة نشأة مرفهة بعيدة كل البعد عن هويتهم الدينية والعربية فقد تربوا في فرنسا على تقاليد المجتمع هناك دون أي توجيه من الأم ما عدا الأبنة الصغرى التي ولدت في مصر وكبرت بعد إفلاسهم فعانت من الفقر مع والدتها لتتعلم وتتزوج وتعيش بصوره طبيعية.

لا توجد نماذج متعددة للأم في رواية عائلة باسكوال دوارتي فقط والدته و زوجته عندما أصبحت أمّا ووالده زوجته ولم يأت على ذكرها سوى في بضعة سطور.

إن نموذج الأم في رواية عائلة باسكوال دوارتي نموذج مشوّه فقد نشأ باسكوال في بيئة سيئة خالية من الفضائل وبالتالي أساسها هو الأم فكان المنشأ غير سوّي منذ البداية.

وصف باسكوال والدته بأنها كانت غير بدينة طويلة ولا تبدو عليها أمارات الصحة الجيدة ودائما ترتدي ملابس الحداد هذا من الناحية الشكلية ودائما الشكل ليس معيارا أمّا من ناحية الطباع فقد كانت والدة باسكوال نارية الطباع عنيفة عالية الصوت دائما ما تطلق السباب المقذع لأتفه الأسباب ومن أبرز الأشياء التي تميز تلك الشخصية العنيفة هو عدم الاغتسال فلا نعلم هل هو عن كره للماء أم كره للنظافة أم خوف من الماء نفسه كذلك كانت تهوى الشراب وكلما توفر لها مبلغ من المال أو بحثت في جيوب زوجها ووجدت بعض المال ترسل باسكوال إلى الحانة لشراء زجاجة وتخبئّها كي لا يعثر عليها والده فالوالد هو الآخر يهوى الشراب فلو رآها لأخذها و شربها.

و علاقة باسكوال بوالدته فهي لم تكن له عاطفة الأمومة فقد كانت ترفسه بقدمها بقسوة فيترك ذلك الرفس أثارا زرقاء على أضلاعه فتبدو تلك العلامة الزرقاء كما لو أنها مكوية بحديد دمغ الحيوانات وأحيانا أخرى ترفسه أيضا بمقدمة قدمها فمن عنف رفستها يترك جرحا يسيل منه الدم وهذا لأنها لم تكن تستطيع الإمساك به لتضربه فكانت إذا تعثّرت به رفسته دون سابق إنذار مستغلّة وقع المفاجأة عليه هذا عن الأذى البدني والنفسي الذي كان يتعرّض له باسكوال وهو في سن صغيرة أمّا عن التعليم فقد كانت والدته لا تعرف القراءة و الكتابة وهذه كانت نقطة انفجارها إذا استفزّها الأب ودعاها بالجاهلة وكانت لا تريد لباسكوال ان يدخل المدرسة ليتعلّم

وكانت حجتها أن البقاء في الحياة فقيرا لا يستحق أن يتعلم شيئا ولكن بالرغم من ذلك نجد أن تأثير الأم كان سيئا فلم يربط بينها وبين باسكوال سوى الكراهية وهي ذات الكراهية التي دفعته إلى قتلها ليحكم عليه بالإعدام بعدها فقتل والدته كانت خاتمة جرائم القتل التي ارتكبها.

نأتي إلى لولا زوجته التي أصبحت حاملا منه بعد ان أغتصبها ثم تزوجها لينشأ الطفل طفلا شرعيا ولأنها تعرضت للإجهاض ولكنها كانت تتوق للأمومة فعندما أنجبت ابنها الثاني كانت تعتني به جيدا ولو كان قدر له الحياة لكان حصل على الرعاية والعناية من والدته كأي طفل طبيعي فـ لولا لم تكن عنيفة ولا سيئة الخلق بل كانت سيئة الحظ و كانت تريد بشدة أن يكون لها أطفال.

أمّا للنموذج الثالث للأم وهي والدة زوجه باسكوال لولا التي لم يأت ذكرها سوى في أسطر قليلة فهي أمّ فقيرة ليس لها سوى أبنة واحدة أصبحت حاملا بدون زواج فكانت تريدها أن تتزوج فقدمت لباسكوال كل التسهيلات التي تقدر عليها لإتمام ذلك الزواج.

وهنا نجد أن والدة باسكوال لم تكن أمًا جيدة مع أولادها كلهم، نشأت أبنتها روساريو وهى ترى أم سكيرة فأصبحت هي الأخرى تهوى الشراب في سن صغيرة ثم هربت من المنزل و كذلك لم تكن الأم عطوفة على أبنها الأصغر ماريو الذي ولد معاقا فكانت تتركه كما لو كان كلبا أجرب ولا تقدم له أي شيء ولو حتى بدافع الشفقة ولكن تستوقفنا هنا ثلاثة تصرفات يحار في تفسيرها قامت بهم الأم التصرف الأول عندما عادت أبنتها بعد هروبها الأول من المنزل مريضة فاعتنت بها في فترة مرضها حتى تعافت وهذا الشيء مستغرب لا يوجد له تفسير إذ لم تشفق عليهم صغار فكيف تمرّضهم كبار؟، التصرف الثاني عندما ركل الدون رافاييل الذي كان على علاقة بالأم الأبن المعاق ماريو ووقف هو والأم يضحكان عليه، بعد رحيل الدون رافاييل من المنزل أخذته الأم في حضنها طوال الليل وأخذت تلعق جرحه كما لو كانت كلبة تلعق صغيرها وهنا ابتسم الصغير لأول وأخر مرة في حياته المؤلمة ولم تعاود الأم الكرة مرة أخرى. وهذه تصرفات غريبة تصدر من أم أغرب ومن الصعب تفسيرها في ظل عدم اكتراثها بهم وهم صغار.

فهنا تأثير الأم تعدّى السلبية لأن سلوكها كان إجراميا في كل المراحل مع أولادها فانعكس ذلك عليهم سلبا فأصبحوا مجرمين بالتبعية أو لأنه لم يكن هناك خيار آخر لهم فلم يعرفوا سوى الوجه القبيح من كل شيء منذ نعومة أظافرهم.

المطلب الثاني: الأخت ودورها في الأحداث.

في الثلاثية لا توجد سوى أختين خديجة وعائشة خديجة في العشرين من عمرها فهي أكبر أبناء أمينة والثانية بعد ياسين أخيها من أبيها كانت قوية ممتلئة ولم تكن جميلة الشكل بالمعنى المتعارف عليه وإن كانت ورثت من أمها عينيها الجميلتين إلاّ أنها ورثت من أبيها أنفه الضخم الذى زاد في إبراز عدم جمال تقاطيع وجهها وبسبب ذلك كانت نفسها بها شيء من الغيرة من أختها الصغرى الأجمل منها ولكنه شعور عابر سرعان ما يختفى نظرا لطبيعتها الطيبة ونفسها العطوفة على كل أفراد الأسرة فهي ورثت عن أمها النشاط والمهارة في أعمال المنزل كذلك كانت تشتهر بنقدها اللاذع للجميع فلا أحد يسلم من لسانها وهى بذلك لا تكنّ كراهية لأحد ولكن رغبة منها في أن يصلح كل فرد منهم من شأنه فعندما مكثت والدتها فترة في منزل جدتها قامت بكل واجبات المنزل خير قيام وظلّت حتى بعد أن تزوّجت الشخصية القوية ذات النقد اللاذع وكلما تقدّمت في العمر لم تخف حدّة انتقاداتها. أمّا عائشة فكانت في السادسة عشر من عمرها جميلة جمالا لافتا مغناج لا تطيق صبرا على أعمال المنزل تهوى الغناء طيبة القلب حلوة اللسان

محبوبة من الجميع ولكنها أصبحت محلّ شفقة من الجميع بعد موت زوجها وولديها فكانوا يحاولون التسرية عنها ولكن حزنها كان أكبر من أي شيء ثم الفاجعة عندما ماتت ابنتها الشابة وهي تلد فانهارت تماما وأصبحت جثة تتحرك على قدمين وموضع حزن لكل من يراها. ويلاحظ هنا معارضة خديجة لزواج اخيها فهمي من جارتهم مريم معارضة شديدة لأنها لا تراها مناسبة لفهمي طالب الحقوق الذي يأملون ان يصبح قاضيا في المستقبل ولكن عائشة كانت الطف في التعبير عن رأيها فنرى هنا أخوة متحابين يحرصون على مصلحة بعضهم البعض فالأخوات في ثلاثية محفوظ عشن مكرّمات محاطات بالحب من أفراد الأسرة ويبادلونهم مودة بمودة، أمّا عن دورهن في الأحداث فكان هامشيا وليس ظاهرًا بقوة.

في عائلة باسكوال دوارتي لا توجد سوى أخت واحدة تدعى روساريو ولدت بعد مخاض عسير أول مرة رآها باسكوال الطفل شعر بالتقزز من منظرها على حد تعبيره في الرواية ثم بدأ يتقبلّها كطفلة ثم كبرت وأصبحت ملكة البيت بلا منازع ولكنها لم تكن تحمل أي خير في نفسها شأنهم جميعا فهي لا تصلح إلاّ لأداء الأشياء السيئة فقط فهي تسرق بخفة غجريه عجوز وهوت الشرب في سن صغيره وغيرها من الرذائل التي انساقت وراءها وساعد في ذلك أنه لم يهتمّ أحد بتقويمها أو توجيهها نحو الخير ثم ما لبثت أن سرقت القليل الذى يملكونه ورحلت لتعمل في البغاء ثم تعود بعد عدة أشهر مريضه وعندما تعافت عاودت الكرة مرة أخرى فسرقت مدخرات الأب ورحلت، فباسكوال بالرغم من أخلاقه المتردية كان يشعر بالخزي ممّا تفعله أخته ولكنه لا يستطيع فعل شيء حتى عندما تحداه القواد الذى تعمل اخته لحسابه ظل ساكنا يتلقّى الإهانة بالرغم من رغبته في قتله.

المطلب الثالث: الزوجة وتأثيرها في الأحداث.

أمّا عن الزوجة في ثلاثية محفوظ فهي أمينه زوجة السيد أحمد عبد الجواد وتمثّل شريحة كبيرة من زوجات هذا العصر فهي دائما وأبدا خاضعة تمتثل لأوامر الزوج بدون تفكير تدور في فلكه ولا تتلفظ إلاّ بما يريد هو سماعة لا تجرؤ على السؤال أو الاعتراض في أي أمر يخصّ حياتهما معا. أمينه كانت في الأربعين من عمرها متوسطة القامة ليست ممتلئة ولكنها متناسقة القوام مليحة الوجه تعتقد اعتقادا راسخا في الخرافات مثل الجنّ والعفاريت ودائما تبسمل وتتلو ما تيسر لها من سور القرآن التي تحفظها لحماية بيتها وأولادها من الحسد والعين والجن نشيطة مثل النحلة تستيقظ منذ الفجر لتقوم على شؤون بيتها وأولادها وخدمة زوجها الذى لا تناديه إلاّ بسيدي لا تعرف شيئا عن العالم الخارجي إلاّ ما تسمعه من الكلمات القليلة التي يتكلم بها زوجها فهي تهابه ولم تعص له أمر منذ أن تزوجته وهى في الرابعة عشر من عمرها فالزوجة هنا هي متلقٍ للأوامر لا يجوز لها الاعتراض وفى مقابل ذلك تعيش حياه مستريحة ماديا في ظل زوج ميسور الحال وكأن الوضع هو تبادل منافع زوجه تنجب وتربّي اولادا جيدين وفى المقابل لا ينقصها ماديا أي شيء طالما ظلّت تنفذّ الأوامر حرفيا وتقوم على راحة الزوج وخدمته دون كلل أو ملل أو تقصير فتأثيرها هنا محدود.

مثال آخر للزوجة وهي هنيه الزوجة الأولى للسيد أحمد فلم يكن لها تأثير كبير فقد كانت ملوله لم تطع الزوج طاعة عمياء مثل زوجات كثيرات في ذلك العصر فطلقّها في بداية زواجهم.

أمّا البنات عندما تزوجن خديجة وعائشة فنجدهن على النقيض تماما من والدتهن فلم يكن خاضعات مثلها فقد تزوجن من رجال على النقيض تماما من والدهم وعشن حياه مختلفة عن حياه والدتهن.

فعائشة الجميلة التي لا طاقة لها بأعمال المنزل تزوجت من خليل شوكت وهو رجل غني لا

يعمل فهو يعيش من ريع أملاك ورثها هو وأخوه وانتقلت إلى منزله وكان خليل ذا طبيعة مرحه محب للغناء ويعزف على العود ويشرب في اعتدال فكأنما كان زوجا مفصلا تفصيلا لعائشة فعاشا متفاهمين يتشاركان في حب الغناء ويدخنان معا فلم تحمل عائشة الهموم مثل الزوجات الأخريات فكانت زوجه حلوة اللسان مشاركة لزوجها في لهوه غير معترضة على بطالته بل سعيدة بها حتى مات هو وولداها بالتيفويد تاركا لها أبنة وحيدة لتعود إلى بيت والداها يعتصرها الحزن على أيام جميلة خلت ولن ترجع.

أمّا خديجة فقد تزوجت إبراهيم شوكت وكانت قوية الشخصية ذات لسان لا يكلّ من النقد أخذت من أمها النشاط والمهارة في إدارة شؤن البيت وطيبة القلب فكانت حازمة مع زوجها الذي لا يعجبها تعطله عن العمل وعدم أدائه لفروض الدين فظلت وراءه حتى أمتثل لإرادتها في أداء الصلاة والصيام ولكنه لم يزل عاطلا بحجة أنه لا يحتاج للعمل فخديجة كان تأثيرها إيجابيا كزوجة صحيح أنها لم توفق تماما ولكنها ظلت تحاول.

أمّا باقي الزوجات التي ورد ذكرهن في الثلاثية فلم يكن لهن تأثير يذكر فـأم مريم جارة السيد أحمد التي كان زوجها مريضا وطريح الفراش وهي تروح وتجيء في كامل زينتها بل وقد تغازل بالكلام الذي يحمل أكثر من معنى وبالنظرات السيد أحمد.

كذلك نجد زينب زوجة ياسين التي لم يعجبها طريقة حياة زوجها ولم تتقبّل خيانته لها فتركته وكذلك فعلت مريم زوجته الثانية فكلتاهما فضحنه على الملأ قبل طلاقهن فلم يقبلن الخنوع والاستسلام لنزواته أو غضّ الطرف عنها على أمل ان ينصلح حاله يوما ما.

أمّا زنوبة الزوجة الثالثة لياسين فقد كان لها ماض غير مشرف وأرادت التوبة وفتح صفحة جديدة بزواجها من ياسين عسى أن ينسى الناس ماضيها وتعيش مثل باقي السيدات لذلك عندما لم تستطع اصلاح ياسين غضّت الطرف عن أفعاله في سبيل حياتها الجديدة كزوجة محترمة.

في رواية عائله باسكوال دوارتي توجد ثلاثة نماذج للزوجة الأولى هي زوجة استبان دوارتي دينيس (والدة باسكوال) كانت سيدة لا تتمتع بأي قدر من الجمال الشكلي أو الروحي ولا حتى بقدر ضئيل من الفضيلة وقد انعكس ذلك سلبا على من حولها وقد زاد من أثر هذه الصفات كونها سكيرة وجاهلة ممّا جعل إحكام العقل في أي أمر من أمور حياتها مستحيلا فكان العنف هو السمة المميزة للتعامل بينها وبين أسرتها ولم تكن تتحلّى ولو بقدر ضئيل من الشفقة إذ عندما مات زوجها ميتة بشعة أخذت تضحك من الهيأة التي مات عليها،أمّا عن علاقتها بزوجها فكانت علاقه ندية فيتبدلان الضرب و السباب وكأنه شأن يومي.

أمّا الزوجة الثانية في الرواية فهي لولا زوجة باسكوال وكانت تصغره بحوالي ثمان سنوات أو أكثر وكانت سمراء طويلة سوداء العينين تجدل شعرها الأسود الطويل في ضفيرة غليظة كان يحلو لها أن تضرب بها باسكوال على وجهه عندما كانت تريد ممازحته بعد أن تزوجا. كان مظهرها العام يوحي بالصحة الجيدة ونظرًا لبنيتها الضخمة يظن من يراها أنها أمّ. كانت لولا جيدة الخلق عفيفة تمشي بثقة وكبرياء وكأنها ليست فلاحة فقيرة، وكانت كزوجة لا بأس بها. كذلك كانت تتوق للأمومة بشدة وترغب في أن يكون عندها أولاد تقوم بتنشئتهم تنشئة جيدة، فقد حزنت على إجهاض طفلها الأول، وعندما أنجبت أبنها الثاني كانت تخاف عليه جدًا، ولا حديث لها إلاّ عنه، وعندما مات أبنها الثاني حزنت عليه جدًا، وقد هجرها باسكوال لمدة سنتين لا تعرف عنه شيئا، ظلت مقيمة مع والدته، وعندما جاء باسكوال وجدها حاملا

وعرف ان لوالدته يدا في ذلك. لولا كانت سيئة الحظ كزوجة فقد تزوجت زواجا سيئا، وانتهى الأمر بمقتلها. الزوجة الثالثة في الرواية هي أسبرانثا حفيدة السيدة انجراثيا المختصة بالتوليد والجنائز في القرية التي طالما كانت عونا لآل باسكوال في المرض أو الميلاد. وقد تزوّج باسكوال اسبرانثا بعد مقتل لولا عندما خرج من السجن. اسبرانثا كانت جميلة في الثلاثين من عمرها ولكن لا يبدو عليها السن فهي تحتفظ بشبابها وكانت متدينة متصوفة وهذا شيء غريب في هذه المنطقة كتومة يتيمة منذ صغرها كانت تحب باسكوال وعندما تزوجته رتبت كثيرا من التفاصيل في بيته لدرجة انه لا يمكن التعرّف على البيت الذي أصبح أفضل كثيرا ولكن والدة باسكوال كانت لا تزال تمارس نزواتها وتؤذى زوجته التي كانت متسامحة معها إلى حد كبير ولم يستطع باسكوال التوفيق بين والدته وزوجته فقد بلغت والدته من السوء مبلغا كبيرا حتى قرر قتلها وقتلها بالفعل. وهنا نجد أن اسبرانثا كان سيكون لها تأثير جيد كزوجة إذا ما أتيحت لها الفرصة فهي لم تكن سيئة الحظ ساذجة مثل لولا بل كانت تنظر للأمور بعين العقل.

المبحث الثالث

تأثير دور الرجل في الأحداث

المطلب الأول: علاقة الأب بالأبناء وتأثرهم به

الأب في ثلاثية محفوظ يتمثّل في شخصية السيد أحمد عبد الجواد وهي شخصية مسيطرة يتعامل مع أولاده بالأوامر من جهته والخوف والرهبة من جهتهم أولًا ثم الاحترام، فالسيد أحمد كان يعرف القراءة والكتابة ويدير تجارته بمنتهى الاقتدار شديد الاعتناء بنفسه يرتدي الملابس الفخمة ولوازمها من خاتم له فص كبير من الألماس وساعة ذهبية والعصا الأبنوس، شديد الحرص على تناول الطعام الجيد، كذلك كان لا يستطيع الاستغناء عن شرب الخمر وإن كان ليس سكيرًا فهو يحرص على شكله أمام الناس و على هيبته أمام عائلته.

لذلك لم يره أحد خارج مجالس اللهو مخمورا كذلك كان حريصًا على سماع الأغاني، فقد كانت مجالس اللهو جزءًا أصيلًا من حياته فليله دائمًا بصحبة الأصدقاء والخمر والغناء، وعشيقة تتغير كل فترة على حسب ما يهوي قلبه، وكان يخفي هذا الجزء المليء بالمجون من حياته عن أسرته ثم حدث أن رأى ياسين والده في بيت العالمة عندما كان ياسين على موعد مع ابنة أختها العوادة زنوبة وكأنها كانت إشارة الانطلاق لياسين الذي كان هو الآخر يهوى الخمر والنساء وعندما رأى والده عرف أنه يسير على خطى الأب في اللهو ولكن لم يحذُ حذوه أبيه في الاجتهاد في العمل أو في الحرص على أمواله.

كان السيد أحمد حريصا على تعليم أبنائه الذكور إذ لم يكن تعليم البنات في المدارس في هذا الوسط منتشرا في ذلك الوقت.

أمّا الأبن الثاني فهمي طالب مدرسة الحقوق وأمل الأسرة المنشود في رفعهم من طبقة التجار إلى طبقة القضاة فكان يرى والده مثلا أعلى في كل شيء ولكن يقينه بالأب تزعزع نوعا ما عندما طلب منه والده أن يقسم على كتاب الله الاّ يشترك في المظاهرات فكيف يكون الأب يتفاخر بوطنيته ثم يطلب من ابنه عدم الاشتراك في الثورة على الاحتلال فهنا تظهر ازدواجيه الأب في التعامل.

أمّا كمال فكانت علاقته بالأب في صغره علاقة مهابة وخوف وعندما كبر كان الأب قد دخل في مراحل المرض وكلما أشتدّ عليه المرض كانت علاقة كمال به أقرب إلى الصداقة.

أمّا علاقة الأب بالبنات فكن يحترمنه و يهبنه جدا و من جهته كأب فقد كان يحبهن جدا و إن كان لا يظهر ذلك أمام أي أحد ولكنه كان يخاف عليهن لاسيما عندما كانت أبنته عائشة تلد وكانت

متعسّرة فكان خائفا عليها بشدة وحزن حزنا شديدا على ما آل اليه حالها بعد وفاة زوجها وأولادها. أمّا خديجة فقد كان هو الوحيد الذي يردعها ويمنعها من التمادي مع زوجها وحماتها فقد كانت تخافه جدا.

السيد أحمد كان حريصًا على أبنائه بالرغم من كل شيء ونتصور هنا أن تأثيره لم يكن سيئا عليهم بدرجة كبيرة رغم عدم إظهار عواطفه لهم. أمّا عن علاقة ياسين بأبنه رضوان فهي فاترة نوعا ما ربما لأنه تربّى بعيدًا عنه وعندما كبر وانتقل للإقامة معه لم يكن أي منهما مهتمّا بالتقرب من الآخر ولا مهتمّا بأفعاله، و لكن ياسين كان فخورا بنجاح ابنه وتقدمه في عمله من باب التباهي به أمام العائلة والناس فقط فلم يكن لياسين تأثير يذكر على ابنه.

أمّا علاقة أحمد وعبد المنعم أولاد خديجة بأبيهم فنجد أنهم لم يتأثروا به مطلقا ولم يحذوا حذوه في أي شيء فتعلما حتى تخرجا من الجامعة وعمل عبد المنعم موظفا وأحمد صحفي والتحقوا بتيارات سياسية بعيدا تماما عن والدهم الخامل الذي لا يعمل.

الحمزاوي وكيل السيد أحمد عبد الجواد في تجارته لم تكن هناك تفاصيل كثيرة عنه سوى أنه كان حريصًا على تعليم ابنه فؤاد حتى تخرج من مدرسة حقوق وصار قاضيًا برغم من ظروف الأب المادية الصعبة وقتئذ.

وكذلك نجد أن عبد الحميد شداد والد حسين صديق كمال و اخته عايدة كان تأثيره سيئًا على أولاده فقد تربّوا في فرنسا وعندما عادوا إلى مصر كانت أخلاقهم وتوجهاتهم فرنسية الهوى بعيدا عن هويتهم المصرية والدينية.

في رواية باسكوال دوارتي كانت علاقة الأب بأبنائه علاقة متغايرة فعلاقته بابنه باسكوال غير علاقة بابنته روساريو، الأب كان برتغاليا ضخم الجثة يميزه شاربان مرتفعان للأعلى دائما.

كان سكّيرا عنيفا لا يتورّع عن ضرب ابنه الذي كان يستسلم لتلقي الضربات من والده لأنه كان صغيرا وعندما كبر كان يهرب ويخشى هذا الأب الذي يدعي استبان دوارتي دينيس كان يعمل بالتهريب وكان دائما مطاردا إلى أن دخل السجن ولم يعرف ابنه لماذا دخل السجن ولم يجرؤ على سؤال أبيه أو أمه عن السبب ولكن ما يميّز الأب بعد خروجه من السجن هو تهدل شاربيه وكأنما انكسر شيء بداخله، عندما كان في السجن هذا الأب كان يعرف القراءة والكتابة وكان مصرّا على تعليم باسكوال وربما كانت هذه هي الحسنة الوحيدة التي قدّمها إلى أبنه فقد أصرّ على ذهاب ابنه الي المدرسة صحيح أنه لم يستمرّ طويلا ولكنه ترك المدرسة و قد تعلّم ما يكفيه لتدبّر أموره.

كان باسكوال يخشى والده جدا لكنه كان يحترمه وعندما عضّ الأب كلب مسعور وأصيب بداء الكلب حبس في الصوان ولأنه كان ضخم الجثة استعانوا بالجيران لأن أعراض السعار تفاقمت عند الأب وكان سيؤذي المحيطين به فحبسوه في الصوان و استعانوا بعوارض خشبية ثم عندما فتحوا عليه لاحقا وجدوه ميتا ميتة بشعة هنا، نتصوّر أن باسكوال شعر بالحزن على موت والده بهذه الطريقة.

تأثير الأب لم يكن جيدا على الاطلاق على باسكوال فنشأ لا يتحلّى بالفضائل كوالده ميال للعنف وبه نزعة إجرامية.

أمّا روساريو فكان الأب يحبّها جدا وهذا أمر مستغرب من شخص كهذا فكانت الشخص الوحيد الذي يستمع اليه ويكفي أن تنظر إليه وهو غاضب حتى يهدأ غضبه ومجرّد وجودها في البيت يمنعه من ضرب الموجودين في البيت وهذا مّما يثير العجب لأنه ما كان يظن أحد أن هذا الرجل قد يسيطر عليه مخلوق مثل هذه الصغيرة ولكن رغم حبه لابنته لم يعمل على تقويمها ربما لأنه لم يكن عنده قيم أصلا ليفعل ذلك فنشأت روساريو ابنة للبيئة التي ولدت ونشأت بها لا تتحلى بأي فضيلة لذلك لم يكن تأثير الأب جيدا رغم

حبه وتفضيله لهذه الأبنة بالذات.

المطلب الثاني: الأخ وعلاقته بالأخرين.

علاقة الاخوة في الثلاثية يسودها الودّ ويرجع ذلك إلى طيبة وسماحة نفس أمينه التي أثرّت بشكل أو بآخر في العلاقة بين الأخوة بعضهم البعض.

فهمي وياسين على الرغم من اختلاف توجهاتهم كانا على وفاق وكمال الصغير الذي يودّ لو كبر ليخرج ويسهر مثل أخيه الأكبر ياسين والثلاثة أولاد مجتمعون على محبة أخوتهم البنات بالرغم من أنهم لا يسلمون من نقد خديجة اللاذع فتراهم مجتمعين مع أمينه يوميا يشربون القهوة ويتحدثون فيما بينهم ثم جاء موت فهمي ليفجعهم جميعا وتتوالى حوادث الأيام فنجدهم بجانب عائشة بعد موت زوجها وأبنيها ليحاولوا التسرية عنها ثم مؤازرتهم لها عند موت ابنتها وكذلك مؤازرتهم لياسين عندما مات ابنه وتقبّلهم بعد ذلك لزوجته زنوبة لا لشيء إلاّ لأنها زوجه أخيهم فلم يعرفوا التفرقة فيما بينهم ولم يختلفوا على ميراث كما يحدث في بعض الأحيان فقد كانوا عونا وسندا لبعضهم البعض.

أمّا أحمد وعبد المنعم أولاد خديجة فبالرغم من اختلاف انتماءاتهم السياسية لم يفسد الودّ بينهم والمفارقة هنا انهم اعتقلا معا كلا حسب انتمائه.

في عائله باسكوال دوارتي نجد أن علاقة باسكوال بأخته روساريو تتأرجح ما بين العاطفة الأخوية تارة والغضب تارة والخزي تارة أخرى فباسكوال كان يشعر بشيء من الغضب عندما سرقت روساريو القليل الذي في المنزل ورحلت وكرّرتها مرة تلو المرة وكذلك كان يشعر بالخزي من ممارستها البغاء ولكنه لا يستطيع فعل شيء ولكن كانت تربطه بأخته عاطفه أخوية فقد كانت بجانبه مواسية عندما مات ابنه وعندما خرج من السجن كانت ترعاه وتهتمّ بطعامه وملابسه وكذلك تعطيه القليل من النقود حتى أنها قامت بخطبة زوجته الثانية اسبرانثا له لذلك ليس من المستبعد على الأخوة الذين تشاركوا البؤس والفقر والأخلاق السيئة أن يجمعهم شيء من عاطفة الأخوة فيميلون أحيانا لمساندة بعضهم البعض ببقايا من رابطة دم مشبعة بالبؤس.

أمّا عن علاقة باسكوال وروساريو بأخيهم المعاق ماريو فكانت علاقة شفقة على هذا المخلوق الذي لا حول له ولا قوه فعندما ضربه الدون رافاييل بقدمه وجرحه وعندما أخبر باسكوال اخته عندما التقاها في القرية جاءت معه إلى المنزل وحملت ذلك المسكين وغسلته بالماء وكأنها تقوم بمواساته بدون كلمات ولكنها هي و باسكوال كانا مجتمعين على كراهية الدون رافاييل. فكان الاخوة هنا بالرغم من النشأة السيئة يمدون أحيانا يد العون لبعضهم ويأبى الأخ المعاق ماريو الاّ أن يترك بمعاناته ورحيله ذكرى مؤلمة خلفها وراءه.

المطلب الثالث: الزوج وتأثيره على الأحداث.

الزوج في الثلاثية والذي يمثّله السيد أحمد عبد الجواد هو زوج متسلّط لا يقبل المناقشة، فهو ينشد الكمال ويدعى الاستقامة بينما خارج البيت هو لاه عابث فهذا التناقض في كل أمور حياته لم يؤد في النهاية إلاّ إلى الخسارة فكان قدوة سيئة لأبنائه.

أمّا ياسين كزوج فهو الأخر سلبي التأثير، ولكن بطريقة مختلفة؛ فالولد سر أبيه في اللهو وشرب الخمر، ولكن من تزوجهن تباعًا لم يقبلن الخيانة، وإن تذمرن من خروجه ليلًا وعودته متأخرا؛ فطلّق زينب ومن بعدها مريم غير عابئ بشيء ولكن زنوبة سلّمت بالأمر الواقع ربما لحاجتها إلى حياة جديدة بعيدة عن حياه العوالم.

أمّا زوج عائشة فالرغم من موته بعد سنوات قليلة من زواجهم فقد كان زوجا محبًا قدّم لها الحياة التي تستهويها فعاشت عده سنوات سعيدة.

أمّا زوج خديجة فلم يكن له أي تأثير فقد كان ينساق لبعض ما تريده أن يفعله لا لشيء إلاّ ليتخلّص من

نقدها اللاذع وإلحاحها المستمرّ، فهو زوج مسالم ليس له أي تأثير إيجابي ولا سلبي.

الزوج في رواية عائله باسكوال دوارتي كان سلبي التأثير بدرجه كبيرة فهو إمّا مطارد أو مسجون حتى في الأوقات التي يتواجد فيها مع عائلته كان عنيفا مع زوجته و ابنه فهو لم يقدم لأبنه مثالا مقبولا عمّا يجب أن يكون عليه الزوج في بيته.

أمّا باسكوال كزوج فلم أفضل حالا من والده رغم محاولته إلى أن تغلبت عليه أنانيته وحاول السفر إلى أمريكا تاركا زوجته التي لا تعلم أين هو و عندما لم يجد معه المال الكافي للسفر عاد بعد سنتين وكأنّ شيئا لم يكن. فنرى أن الأزواج في هذه الرواية تأثيرهم سلبي إلى أبعد حد.

أوجه الشبه والاختلاف بين الثلاثية لنجيب محفوظ وعائلة باسكوال دوارتي لثيلا

أولا: من حيث البيئة التي تدور بها الأحداث:

تدور أحداث الثلاثية في حي الجمالية وهو حي شعبي عريق يتميز بخصوصية دينية إذ يوجد به العديد من المساجد وعلى رأسها مسجد الحسين الذي يتبرّك به العامة من رجال ونساء على السواء وذلك لمحبتهم وتبجيلهم لآل البيت، بينما تدور أحداث رواية عائلة باسكوال دوارتي في قرية صغيرة فقيرة من قرى الريف الاسباني والتي وصفها باسكوال بطل الرواية بأنها كيوم بلا خبز كناية عن فقرها وبعدها.

ثانيا: من حيث الزمن الذي تدور فيه الأحداث:

تدور أحداث الثلاثية في بداية القرن العشرين قبل ثوره ١٩١٩ وما تلاها من سنوات حتى بداية الخمسينيات وهذه السنوات كانت مليئة بالأحداث والصراعات فما كان ممنوعا أصبح مسموحا مثل تعليم الفتيات و تمتع النساء بقدر ما من الحرية ممّا خلق صراعا بين القديم والحديث وقد دار الزمن دورته المعتادة فالسيد أحمد بعد أن كان يملأ الدنيا بقوته صار مريضا لا يستطيع فرض سيطرته وكمال بعد أن مرّت السنين ثبت له خطأ اختياراته فلا صار كاتبا ولا صاحب جاه أو مال ولا حتى أفلح في تكوين أسرة،أمّا ياسين فهو لا يحمل همّا ولا يبدى ندما حتى وإن اعتراه بعض الضيق أحيانا أمّا أمينه فقد حصلت على بعض الحرية أخيرا فصارت تزور مساجد آل البيت للتبرك والدعاء بصلاح الأحوال، أمّا عائشة فصارت كالميتة خصوصا بعد وفاه أبنتها ، بينما تدور أحداث رواية عائله باسكوال دوارتي بعد انتهاء الحرب الأهلية الاسبانية وما تلاها من سنوات صعبة فلم يعش لباسكوال أي أطفال وأخفق في محاولته للهجرة وإن كان الفشل والندم مسيطرين عليه في ذلك الوقت حتى عندما خرج من السجن واراد بناء حياة جيدة لم يفلح فكانت مذكراته قبل إعدامه خير شاهد على مراحل حياته وندمه على ما اقترفه من آثام.

فهنا نجد الندم على الفرص الضائعة والفشل قاسما مشتركا بين الثلاثية ورواية عائلة باسكوال دوارتي.

ثالثا: المستوي الاجتماعي والاقتصادي الذي تدور فيه الأحداث:

الثلاثية هي حكاية أسرة مصرية تنتمى للطبقة الوسطى وما يتصل بها من أقارب وجيران وأصدقاء فهي عائلة ميسورة الحال فالأب قد ورث تجارة عن والده فكان يحيا في سعة تسمح له بتعليم أبنائه الذكور فقط فلم يشركهم معه في تجارته ولكنه كان يريدهم أن يرتقوا بالعائلة من طبقه التجار إلى طبقة القضاة وكان جلّ أمله في فهمي الذى التحق بمدرسه الحقوق ليكون قاضيا وكان يأمل أن يحذو أبنه الأصغر كمال حذو أخيه خصوصا وأن أبنه الأكبر ياسين لم يحصل سوى على الابتدائية وعينّ كاتبا في مدرسة فقد قتل فهمى أثناء اشتراكه في المظاهرات وكمال عندما كبر اختار أن يلتحق بمدرسه المعلمين بدلا من الحقوق، والبنات تزوجن وأنجبن ولكن الأحفاد لم يرتقوا بالعائلة بل التحقوا بتيارات سياسية حديثه

الظهور وقتها فكان مصيرهم الاعتقال ما عدا رضوان ابن ياسين الذى التحق بوظيفه مرموقة، بينما رواية عائلة باسكوال دوارتي تدور حول عائلة فقيرة تقيم في قرية صغيرة وبالرغم من ذلك فلم تكن العائلة تعمل بالزراعة بل كان الأب برتغاليا يعمل بالتهريب ثم أدين بتهمة دخل على إثرها السجن. ولكن يستوقفنا أشياء مشتركة بين العائلتين وهى حب الأب لبناته في الثلاثية فقد كان السيد أحمد بالرغم من شدّته محبّا لبناته يخاف عليهن وإن لم يظهر ذلك كذلك كان والد باسكوال كان شديد التعلّق بأبنته محبّا لها متسامحا معها بالرغم من أفعالها ولكنه لم يحسن تربيتها ربما لأنه أكتفى بعاطفه الأبوة وربما لأنه لم يكن يملك من الفضائل ما يعينه على التنشئة السليمة لأبنائه، كذلك حرص الأب على تعليم أبنائه الذكور مثل ما فعل السيد أحمد مع أبنائه وكذلك كان والد باسكوال حريصا على حصول أبنه على قدر من التعليم على الرغم من معارضه زوجته ولكن والد باسكوال أيضا لم يحرص على تعليم أبنته بالرغم من محبته الشديدة لها.

نأتي إلى دور الأم ففي الثلاثية نجد أمّا عطوفا لاهمّ لها سوى راحة أبنائها مثل أمينه زوجه السيد أحمد أو إما لا تكترث كثيرا لأبنائها بل تهتمّ بنفسها مثل هنيه والدة ياسين أوأم مريم جارة السيد أحمد، بينما في رواية عائلة باسكوال دوارتي نجد أما عنيفة مع أبنائها لا تأبه لهم على الأطلاق بل كانت مصدر أذى له.

كذلك تتشابه العلاقة الجيدة بين الأخوة في الروايتين ولكنها تتفاوت في شدتها ففي الثلاثية الأخوة متحابون متحدون مهما اختلفوا على الرغم من أن ياسين الأخ الأكبر من أم أخرى ولكن هذا الشيء لم يثر أي ضغائن في نفوسهم، كذلك كان باسكوال تربطه بأخته علاقة معقدة نوعا ما يختلط فيها الحب بالخزي ممّا تفعله أخته لكنها كانت حاضرة دائما لتقديم العون لأخيها وكانت تربطهم علاقة شفقة بأخيهم المعاق منذ ميلاده وحتى موته ميتة بشعة مرورا بحياته التي لم تكن تقلّ بشاعة عن ظروف وفاته.

ولكن إذا نظرنا الى علاقات الأزواج نجدها متباينة في الروايتين في الثلاثية نجد أمينه الزوجة الخاضعة التي ترى الدنيا بعيون زوجها ولا همّ لها سوى ارضائه كي لا تتعرض للعقاب، بينما في رواية عائلة باسكوال دوارتي نجد الزوج الذي يريد فرض كلمته فلا يستطيع فيلجأ للعنف البدني واللفظي لتردّ عليه الزوجة بعنف مماثل.

رابعا: تأثير الأحداث السياسية على حياة الأبطال في الثلاثية ورواية عائلة باسكوال دوارتي:

عاصرت أحداث الثلاثية ثورة ١٩١٩ فكان لها كبير الأثر من حيث استشهاد فهمى و الصعوبات التي مرّت بها البلد أثرّت بشكل أو بآخر على عائلة السيد أحمد والصعوبات الاقتصادية التي كانت نتاجا للتغيرات السياسية الحاصلة وقتها أدّت لإفلاس العديد من التجار لكن السيد أحمد ظلّ متماسكا بالرغم من صعوبة ذلك فالحياة كانت تسير بشكل أو بآخر ولكن في رواية عائلة باسكوال دوارتي كان الهروب هو سيد الموقف فباسكوال أراد الهروب من الظروف المعيشية الصعبة لاسيما بعد وفاة ابنه الى أمريكا شأنه في ذلك شأن العديد من الأسبان الذين كانوا يريدون الهروب من الدمار الذى أحدثته الحرب الأهلية ولكن باسكوال كان ينقصه المال اللازم للسفر فلم يجد مفرّا من العودة إلى قريته.

وفى النهاية نجد أن في الثلاثية كما في رواية عائلة باسكوال دوارتي الإخفاق في تحقيق الأهداف والتعاسة والنهاية الحزينة سمة مشتركه بين العملين.

الخاتمة

نتائج الدراسة النقدية

أولا: البيئة لها تأثير كبير على الفرد والأسرة فالظروف

الاقتصادية السيئة التي تمرّ بها بلد ما نتيجة للحرب تؤثّر تأثيرا كبيرا على أهل هذا البلد سواء كانت حربا اهلية ام عالمية ام احتلال بلد لآخر فنجد أن الأزمات الاقتصادية تتفاقم فتختفى سلع أو ترتفع الأسعار فيزداد الفقراء فقرا ويعاني الميسورون ولكن أهل الريف دائما في معاناة لتأتى الازمات الاقتصادية لتزيد معانتهم أضعافا فتتدهور الخدمات مثل الصحة والتعليم ممّا ينعكس سلبا على حياة ومستقبل الأسر والأفراد. ففي الثلاثية لم تؤثّر ظروف الحرب وغلاء الأسعار على حياة الأبطال في وقتها ولكنها أثّرت فيما بعد فما كان مفروضا أن يكون ثروة تورث لم يبق منه سوى ما يكفل حياة ليست بالرغيدة. في رواية عائلة باسكوال دوارتي كان الفقر هو سيد الموقف فالأسرة كانت بالكاد تجد قوت يومها فكان باسكوال عاطلا وعندما وجد عملا كان بالكاد يكفيه.

ولا شك أن لتدهور الحياة السياسية في بلد ما يترك اثرا سيئا فالرقابة وقمع الحريات و تصفيه الحسابات وتفشى الرشوة والوشايات بين الناس التي تكون مصاحبه للفساد السياسي خصوصا في فترات الحرب الأهلية وما يعقبها أثر سيئ فهذه الأشياء تبطئ من عملية الإصلاح.

وهنا يثور تساؤل هل البيئة المحيطة بالإنسان تساهم في انحرافه أم هناك أشخاص منحرفون بالفطرة؟ أكيد أن الظروف الصعبة والتجارب المؤلمة التي تمرّ على الإنسان خصوصا لوكان طفلا تترك أثرا فتنجو نسبه قليلة وتنأى بنفسها عن النقائص نتيجة لخير فطري موجود في نفسها وأحيانا تتكاتف الظروف السيئة ضد إنسان لتدفعه دفعا للانحراف ويساعد في إرادة ضعيفة وهناك منحرفون بالفطرة لا ينفع فيهم توجيه أو إصلاح أو حتى عقاب. فالسيد أحمد عبد الجواد في الثلاثية لم يجد هناك مبررا لأفعاله من شرب الخمر وعشق الغواني وولده ياسين الذي سلك نفس المسلك سوى إتباع هوى النفس. أمّا في حاله باسكوال دوارتي فنشأ في بيئة منحرفة لا فضيلة فيها فكانت النتيجة عده جرائم.

ثانيا: لا شك أن المرأة تلعب دورا كبيرا في تنشئة الفرد فالأم عندما تكون صالحة تحاول جاهدة أن تنشئ أفرادا صالحين حتى وإن لم توفق كليا فيكفي أن تكون قدوة حسنة لأبنائها. في الثلاثية نجد النموذج الأبرز للأم هي أمينة كانت لا تدخر جهدا في سبيل العناية بأبنائها وكذلك كانت أبنتها خديجة وزوجة ياسين على الرغم من ماضيها الشائن فأبت إلاّ المحافظة على حاضر جيد والعناية بتربية أبنتها الوحيدة. لكن الأم في عائلة باسكوال دوراتي كانت أسما فقط فلا ربّت أولاد ولا كانت قدوة حسنة. الرواية الإسبانية عائلة باسكوال دوارتي رواية صادمة وإن كانت تعبّر عن واقع مؤلم قوامه الفقر والجهل وما يترتّب عليهما قد تكون سوداوية نوعا ما إلاّ أنها تذكر بمعاناة أناس عاشوا وماتوا ولم يشعر بهم أحد لتكون تجربتهم عبرة وعظة.

أمّا ثلاثية محفوظ فقدّمت وصفا متكاملا على مدى سنوات وثلاثة أجيال للحياة الاجتماعية للطبقة المتوسطة في مصر فوصفت الناس وعادتهم وبيوتهم فكأننا انتقلنا لحارة محفوظ لنتجوّل بين ربوعها ونعايش الناس فيها ونتعرّف على انتماءاتهم وكذلك نقائصهم.

الهوامش:

١- ينظر: الرواية والتاريخ، عبد السلام أقلمون. دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، ليبيا، ٢٠١٠م، ص ٨٤، ١٠٢.

* يرى عبد السلام أقلمون أنه بإمكان الرواية أن تستقبل موادا تاريخية لتشيّيد كيان سردي دالًا فنيًا، ويكون بإمكان التاريخ أن يستفيد ما يحتاجه من مواد روائية ليشيّد كيانا سرديًا دالًا تاريخيًا. فالنص التاريخي يقدم ساردًا عارفًا بكلية عالمه الحكائي، فهو يقدّم ويؤخر أوضاع الحكاية حسب ما تفتضيه الإحاطة التاريخية بعناصر الواقعة لتحقيق إشباع سردي مقنع بالنسبة للقارئ.

٢- اعتبر نجيب محفوظ قدوة لكل المخلصين لفنهم، نجيب سرور، جريدة الصحراء، ١٢ مارس ٢٠١٨، متوافر على الرابط التالي: https://assahraa.ma/journal/٢٠٠٨/٥٧٢٦٢

٣- لا قوة تستطيع إلغاء الكاتب الحقيقي، نجيب سرور، جريدة الغد، ٢٥/ ٧/ ٢٠١١، متوافر على الرابط التالي: https://alghad.com/%D٨%B٣%D٨%B١%D٩%٨٨%D٨%B١-
%D٩%٨٤%D٨%A٧-
%D٩%٨٢%D٩%٨٨%D٨%A٩-%D٨%D٨%AA
%B٣%D٨%D٨%AA%B٧%D٩%D٨%A٨%B٩-
%D٨%A٥%D٩%٨٤%D٨%D٨%BA%A٧%D٨%A١-
%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٤%D٩-
٨٣%D٨%A٧%D٨%D٨%AA%A٨-%D٨%A٧%D٩%٨
٤%D٨%D٩%AD%٨٢%D٩%D٩%A٨%٨٢/

٤- الجامعة الأردنية – كلية الآداب قسم اللغة العربية – ماجستير بحث – فن الرواية مادة – فنون النثر الأدبي الحديث والمعاصر - خولة محمد سليم الوهداني - الدكتور محمد أحمد القضاة.

٥- الدكتور ابراهيم السعافين، الرواية العربية تبحر من جديد- الطبعة الأولى ٢٠٠٧- دار العالم العربي للنشر والتوزيع دبي.

٦- الدكتور ابراهيم السعافين، الرواية في الأردن- منشورات لجنة تاريخ الأردن- سلسلة كتاب، الأم في تاريخ الاردن (٣١).

٧- الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دراسة في صلة الرواية بمعطيات الفكر والحضارة- الطبعة الأولى- دار الجنوب للنشر ٢٠٠٤م.

٨- سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود - رؤية للنشر والتوزيع- ٢٠١٠م.

٩- الدكتور شكري عزيز الماضي- أنماط الرواية العربية الجديدة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب- دولة الكويت ٢٠٠٧م.

١٠- إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، احمد حسن الزيات، محمد على النجار- المعجم الوسيط- جزء١ -المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع – إسطنبول. ص٣٨٤.

١١- المرجع السابق ص.٣٤٠,٣٤٥

١٢- فتحى إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للنشر المتحدين، تونس ١٩٨٨ص٦٠-٦١ نقلا عن صالح مفقودة، صورة المرأة في الرواية الجزائرية رسالة ماجيستير قسنطينة،٢٠٠١-٢٠٠٢ص٣٠.

١٣- مصطفى الصاوي الجويني، في الادب العالمي القصة، الرواية والقصة والسيرة، منشأة المعارف- الإسكندرية ٢٠٠٢ ص ٣٠.

١٤- زمن الرواية، جابر عصفور، ط١، القاهرة،٣١، ١٩٩٩. العتبات النصية في رواية الأجيال العربية سهام السامرائي كلية التربية جامعة سامراء، العراق،٢٠١٦، ص٣٦:٣٣

١٥- بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بيتور، ترجمة فريد انطونيوس، ط٢، بيرت،١٩٨٢، ١٩-٢١.

١٦- الخطاب الروائي ميخائيل باختين، ترجمة، محمد برادة، ط١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م، ٢٠.

١٧- عالم الرواية، رولان برونوف وريال أوتيليه، ترجمة: نهاد التكرلي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١، ٢١.

١٨- مدخل الى نظريات الرواية، بيير شارتيه، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،٢٠٠١، ١١

١٩- عالم الرواية،٢٥.

٢٠- الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية، د. عبد الله محمد الغذامي، ط١، النادي الأدبي الثقافي (٢٧) المملكة العربية السعودية، ص ٦، ١٩٨٥

٢١- الملحمية في الرواية العربية المعاصرة، د. سعد عبد الحسين العتابي، ط١، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد٢٠٠١، ص٣٤

٢٢- تاريخ الرواية الحديث، ر، م، البيرس، ترجمة جورج سالم، ط٢، بيروت،١٩٨٢، ص٣٣

٢٣- فن الرواية كولن ولسن، ترجمة: محمد درويش، ط١، بغداد١٩٨٦، ص٢٨٢

٢٤- الملحمية في الرواية العربية المعاصرة، ص٣٤، مدونة الربح السريع، تعريف الوراية لغة واصطلاحا.

٢٥- الفن الروائي تقنيات و مناهج برنار فاليط، ترجمة: رشيد بن حدو

٢٦- الرواية العربية واشكالية التصنيف، ساندي سالم أبو ضيف، ط١، دار الشروق، عمان،٢٠٠٨ص٣٤

٢٧- الرواية العربية واشكالية التصنيف، مرجع سابق.

٢٨- الرواية الانسيابية وتأثيرها عن الروائيين العرب، محمد أحمد السيد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٣. والعتبات النصية في رواية الأجيال العربية، سهام السامرائي، كلية التربية، جامعات سامراء، العراق، ٢٠١٦م، ص٣٨،٣٧.

٢٩- المرجع نفسه٣٣-٣٥. (الرواية الانسيابية وتأثيرها عن الروائيين العرب، محمد أحمد السيد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م)

٣٠- الرواية في القرن العشرين، جان ايف تاديه، ترجمة: محمد خليل البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨، ص٧٥،٧٧. والعتبات النصية في رواية الأجيال العربية، سهام السامرائي، كلية التربية، جامعات سامراء، العراق، ٢٠١٦م، ص٣٨،٣٧.

٣١- تاريخ الادب الاسباني في القرن العشرين، الأدب الإسباني في القرن العشرين _نيبس بارندا ليتوريو، لوثيا مونتيخو غوروتشاجا_ترجمة جعفر العلوني_ منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب_٢٠١٤. سامر محمد إسماعيل المصدر: جريدة السفير

٣٢- رواية بين القصرين – نحيب محفوظ ص٩.

* رجل تجاوز الأربعين طويل القامه عريض المنكبين ضخم الجسم ذا كرش كبيرة مكتنزة اشتملت عليها جميعا جبه و قفطان في اناقة وبحبحه دلتا على رفاهية و سخاء، و لم يكن شعره الأسود المنبسط من مفرقه على صفحتي رأسه في عنايه بالغه، وخاتمه ذو الفص الألماسي الكبير، وساعته الذهبية الا لتؤكد رفاهية ذوقه و سخائه. أما وجهة المستطيل الهيئة مكتنز الأديم قوى التعبير واضح الملامح، يدل في جماليته على بروز شخصيته والجمال بعينيه الزرقاوين الواسعتين وانفة الكبير الأشم المتناسق على كبره مع بسطة الوجه، وفمه الواسع وشفتيه الممتلئتين، وشاربه الفاحم الغليظ المفتول طرفاه بدقه لا مزيد عليها.

٣٣- رواية بين القصرين -نجيب محفوظ ص٤.

* سيده في الأربعين متوسطه القامه، تبدو كالنحيفة ولكن جسمها بض ممتلئ في حدوده الضيقة لطيف التنسيق و التبويب، أما وجهها فمائل الى الطول مرتفع الجبين دقيق القسمات، ذو عينين صغيرتين جميلتين تلوح فيهما نظرة عسيلة حالمة، وانف صغير دقيق يتسع قليلا عند فتحتيه، وفم دقيق الشفتين ينحدر تحتهما دقن مدبب، وبشرة قمحية، صافية تلوح عند موضع الوجنة منها شامة سوادها عميق نقي.

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

١- الثلاثية تأليف نجيب محفوظ: (بين القصرين، قصر الشوق، السكرية).

٢- عائلة باسكوال دوارتي تأليف كاميلو خوسيه ثيلا / الناشر: دار المدى للطباعة والنشر و التوزيع / يناير٢٠١٤/الطبعة الأولى صدرت عام ١٩٤٢.

ثانيا: المراجع:

٣- الأدب الإسباني في القرن العشرين _نيبس بارندا ليتوريو، لوثيا مونتيخو غوروتشاجا_ترجمة جعفر العلوني_منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب_٢٠١٤.

٤- أنماط الرواية العربية الجديدة /الدكتور شكري عزيز الماضي-المركز الوطني للثقافة والفنون و الأداب-الكويت ٢٠٠٧.

٥- بحوث في الرواية الجديدة/ ميشال بيتور/ ترجمة فريد أنطونيوس/ الطبعة الثانية _بيروت_١٩٨٢.

٦- تاريخ الرواية الحديثة ر، م البيرس-ترجمة جورج سالم، ط٢، بيروت،١٩٨٢.

٧- التجليات الملحمية في رواية الأجيال العربية د. مريم جبر فريحات طبعة أولى سلسلة كتب ثقافية وزارة الثقافة الأردنية_٢٠٠٥.

٨- التخيل القصصي: الشعرية المعاصرة ـ شلومين عون كنعان ـ ترجمة الحسن أهمامه ـ الدار البيضاء ـ دار الثقافة ١٩٩٥.

٩- الخطاب الروائي ميخائيل باختين_ترجمة محمد برادة طبعة أولى دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع_القاهرة_١٩٨٧.

١٠- الخطيئة و التكفير من البنيوية الى التشريحية-د. عبد الله محمد الغذامي، ط١، النادي الأدبي الثقافي "٢٧" المملكة العربية السعودية،١٩٨٥.

١١- رحلة في ثلاثية نجيب محفوظ/ نجيب سرور/ دار الشروق.

١٢- الرواية الانسيابية و تأثيرها عند الروائيين العرب ـ محمد أحمد السيد، دار المعارف ١٩٨٥.

١٣- الرواية العربية تبحر من جديد/الدكتور إبراهيم السعافين/ط١-٢٠٠٧-دار العالم العربي للنشر و التوزيع-دبي.

١٤- الرواية العربية و إشكالية التصنيف، ساندي سالم أبو سيف طبعة أولى دار الشروق_عمان_٢٠٠٨.

١٥- الرواية في الأردن/ منشورات لجنة تاريخ الأردن / سلسله كتب الأم في تاريخ الأردن (٣١) /دكتور أبراهيم السعافين

١٦- الرواية في القرن العشرين ـ جان ايف تاديه ـ ترجمة محمد خير البقاعي ـ القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٧- الرواية والتاريخ /عبد السلام أقلمون، دار الكتب الجديدة المتحدة، ليبيا.

١٨- زمن الرواية-جابر عصفور-ط١-القاهرة، ١٩٩٩

١٩- عالم الرواية رولان برونوف، ريال أوتلييه_ترجمة نهاد التكرلي_طبعة أولى دار الشؤن الثقافية العامة_بغداد_١٩٩١.

٢٠- العتبات النصية في رواية الأجيال العربية للدكتورة سيهام السامرائي – كلية التربية -جامعة سامراء/العراق -٢٠١٦- الطبعة الأولى.

٢١- فن الرواية/ كولن ولسن ترجمة محمد درويش/ طبعة أولى_بغداد١٩٨٦.

٢٢- الفن الروائي_ تقنيات ومناهج برنار فاليط_ ترجمة رشيد بن حدو_١٩٩٢.

٢٣- فن القصة -محمد يوسف نجم- بيروت- دار الثقافة.

٢٤- في الأدب العالمي، الرواية و القصة و الرواية والسيرة، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف-الإسكندرية ٢٠٠٢.

٢٥ -قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود و الحدود/ سعيد يقطين/رؤية للنشر و التوزيع.

٢٦- ماجيستير بحث فن الرواية / مادة فنون النثر الأدب الحديث و المعاصر/خوله محمد سليم الوهداني، محمد أحمد القضاة /كلية الأداب / قسم اللغة العربية /الجامعة الأردنية.

٢٧- مدخل الى نظريات الرواية بيير شارتييه_ترجمة عبد الكبير الشرقاوي/ دار تويقال للنشر الدار البيضاء_٢٠٠١.

٢٨- معجم المصطلحات الأدبية _ فتحي إبراهيم، المؤسسة العربية للنشر المتحدين، تونس،١٩٨٨.

٢٩- المعجم الوسيط _إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد على النجار-جزء١ – المكتبة الإسلامية للطباعة و النشر و التوزيع -إسطنبول.

٣٠- الملحمية في الرواية العربية المعاصرة/ د. سعد عبد الحسن العتابي طبعة أولى دار الشؤن الثقافية العامة_بغداد_٢٠٠١.

٣١- الملحمية في الرواية العربية المعاصرة/ سعد عبد الحسين العتابي/دار الشئون الثقافية العامة"افاق عربية"/ بغداد/ ٢٠٠١.

٣٢- نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي/ دراسة في صلة الرواية بمعطيات الفكر والحضارة / الصادق قسومة-ط١-دار الجنوب للنشر٢٠٠٤.

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

٣٣- اعتبر نجيب محفوظ قدوة لكل المخلصين لفنهم، نجيب سرور، جريدة الصحراء، ١٢ مارس ٢٠١٨، متوافر على الرابط التالي: https://assahraa.ma/journal/٢٠٠٨/٥٧٢٦٢

٣٤- لا قوة تستطيع إلغاء الكاتب الحقيقي، نجيب سرور، جريدة الغد، ٢٥/ ٧/ ٢٠١١، متوافر على الرابط التالي: https://alghad.com/%D٨%B٣%D٨%B١%D٩%٨٨%D٨%B١-%D٨%A٧ %D٨ %٨٤ %D٩ %٨٢%D٩%٨٨%D٨%A٩-%D٨%AA%D٨%B٣%D٨%AA%D٨%B٧%D٩%BA%D٨%A٩%D٨%A٥%D٩%٨٤%D٨%BA%D٨%A٧%D٨%A١- %D٩ %٨٤ %D٩ %A٧ %D٨ %٨٣%D٨%A٧%D٨%AA%D٨%A٨-%D٨%A٧%D٩%٨٨%D٨%٤D٩%D٩%٨٢%AD%A٨%٨٢/